جمهورية مصر العربية
الأزهر الشريف
قطاع المعاهد الأزهرية
الإدارة العامة
للكتب والمكتبات

تاريخ المصحف الشريف

الكتابة العربية، كتابة القرآن في العهد النبوي، جمعه في عَصْرَيْ أبي بكر وعثمان
المصاحف في عصر الصحابة، المصاحف العثمانية، نقط المصاحف وشكلها
ما يجب على كاتب المصحف، المصاحف في دور الطباعة

تأليف
خادم العلم والقرآن
عبدالفتاح القاضي
شيخ معهد القراءات بالأزهر الشريف (سابقًا)

المقرر على الصف الثالث بمرحلة التخصص بمعاهد القراءات

طبع على نفقة قطاع المعاهد الأزهرية

١٤٤٦ هـ / ٢٠٢٤ -٢٠٢٥ م

AL AZHAR AL SHARIF

Amiria
المطابع الأميرية

جمهورية مصر العربية
الأزهر الشريف
قطاع المعاهد الأزهرية
الإدارة العامة للكتب والمكتبات

تاريخُ المصحفِ الشريفِ

الكتابةُ العربيةُ، كتابةُ القرآنِ الكريمِ في العهدِ النبوي، جمعُهُ في عصرَيِ أبي بكر وعثمان رضي الله عنه، المصاحفُ في عصرِ الصحابة، المصاحف العثمانية، نقطُ المصاحف وشكلها، وما يجب على كاتب المصحف، المصاحف في دور الطباعة.

تأليف
خادم العلم والقرآن الكريم
عبد الفتاح القاضي
شيخ معهد القراءات بالأزهر الشريف (سابقًا)

المقرر على الصف الثالث بمرحلة التخصص بمعاهد القراءات

طبع على نفقة قطاع المعاهد الأزهرية
١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م - ٢٠٢٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ للهِ ربِ العالمينَ، والصلاةُ والسلامُ على أشرف المرسلين سيدنا محمدٍ ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد؛

فهذه عجالةٌ موجزةٌ، ولمحةٌ خاطفةٌ، وعرضٌ سريعٌ لبيانِ كتابةِ القرآن الكريم في العهد النبوي، وجمْعُهُ في عصر الصديق الأكبر أبي بكر ﵁، وعصر الخليفة الثالث عثمان ﵁، وبيان ما اشتهر من المصاحف في عصر الصحابة ﵃، والمصاحف العثمانية وعددها، وما اشتملت عليه من القراءات، وكيف أرسلت إلى الأمصار وموقف المسلمين إزاءها، ونسخ المصاحف بعد عصر الخلفاء الراشدين، وما أُحْدِثَ بها من نَقْطٍ وشكلٍ وتجزئةٍ، ومتى أُحْدِثَ فيها ذلك، وما يجب على كاتب المصحف وناشره، وحالة المصاحف في دور الطباعة.

وقد مهدت لذلك بمقدمةٍ في بيان الكتابة العربية، ومتى تعلَّمها القرشيون ومن علَّمها لهم، وموقف الإسلام من الكتابة، وكيف تطورت في العصور المختلفة.

والله ﷻ المسئول أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وهو حسبي ونعم الوكيل.

عبد الفتاح القاضي.

الكتابة العربية قبل الإسلام وبعده

بُعِثَ النبيُّ ﷺ إلى أُمَّة أُمِّية لا تكتب ولا تحسب، ولا تعرف عن الخط والكتابة شيئًا، اللَّهم إلا نزرًا يسيرًا في جزيرة العرب كُلِّها، وبضعة عشر رجلًا من قريش خاصة، ونفرًا قليلًا من أهل المدينة ومجاوريهم من اليهود عرفوا الخط والكتابة قبل مبعث النبي ﷺ بقليل، فمن هؤلاء أبوبكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وأبو سفيان بن حرب، وابنه معاوية، وأبان بن سعيد، والعلاء بن الحضرمي ﷺ، وهؤلاء من أهل مكة، ومن أهل المدينة: عمرو بن سعيد، وأبي ابن كعب، وزيد بن ثابت، والمنذر بن عمرو ﷺ، وكان بها يهودي يعلم الصبيان الكتابة.

ولقلة انتشار الكتابة في ربوع الجزيرة العربية، وانحصارها في أفراد قلائل من أهلها، صح التعبير عن الأمة العربية بأنَّها أُمَّة أُمِّية لا تقرأ ولا تكتب.

وقد جاء الإسلام وسجل عليها الأُمِّية بقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

والمشهور عند علماء التاريخ أن أستاذ القرشيين في الكتابة والخط حرب بن أمية ابن عبد شمس والد أبي سفيان الصحابي الجليل[١]؛ لأنَّه كان رجلًا كثير الأسفار إلى البلاد بالتجارة؛ فتعلَّمَ الكتابةَ والخطَ على يد أهل هذه البلاد، وعلَّمها

(١) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن للزُّرقاني (١/ ٣٦٢).

القرشيين، فبدْءُ الخط بمكة كان على يده، واختلف المؤرخون في تعيين من علم حرب بن أمية، فقيل هو عبد الله بن جدعان، وقيل بشر بن عبد الملك، وإليك ما ورد في هذا.

ذكر الداني بسنده إلى زياد بن أنعم قال: قلت لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "معاشر قريش هل كنتم تكتبون في الجاهلية بهذا الكتاب العربي تجمعون فيه ما افترق، هجاء بالألف واللام والميم، والقطع والوصل، وما يكتب به اليوم قبل أن يبعث النبي ﷺ؟"، قال: "نعم"، قلت: "فمن علمكم الكتابة؟"، قال: "حرب بن أمية"، قلت: "فمن علم حرب بن أمية؟"، قال: "عبد الله بن جدعان"، قلت: "فمن علَّم عبد الله؟"، قال: "أهل الأنبار"، قلت: "فمن علَّم أهل الأنبار؟"، قال: "طارئ طرأ عليهم من أهل اليمن من كندة"، قلت: "فمن علَّم ذلك الطارئ؟" قال: "الخلجان بن الموهم، كان كاتب هود نبي الله عليه السلام بالوحي عن الله -عز وجل-".

وروى الكلبي عن عوانة: "أول من كتب بخطنا هذا وهو الجزم (١) مرامر ابن مرة، وأسلم بن سدرة، وعامر بن جدرة، وهم من عرب طيء، تعلموه من كاتب الوحي لهود عليه السلام ثم علموه أهل الأنبار، ومنهم انتشرت الكتابة في العراق والحيرة وغيرها، فتعلمها بشر بن عبد الملك أخو أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل، وكان له صحبة بحرب بن أمية؛ لتجارته عندهم في بلاد

---

(١) الجزم: هو أحد الخطوط العربية قبل الإسلام.

العراق، فتعلم حرب منه الكتابة وعلَّمها القرشيين، ثم سافر معه بشر إلى مكة، فتزوج الصهباء بنت حرب أخت أبي سفيان، فتعلَّم منه الكتابة جماعة من أهل مكة، فكثر سواد الكاتبين من قريش قبل الإسلام إلى حد ما، فأنت ترى أن الرواية الأولى تدل على أن أستاذ حرب بن أمية (عبد الله بن جدعان)، والثانية تدل على أن أستاذه (بشر بن عبد الملك).

وبقيت الكتابة محصورة في أفراد قلائل في الجزيرة إلى أن هاجر النبى ﷺ إلى المدينة؛ فشجع الكتابة، وحث على تعليمها وتعلُّمها بجميع الوسائل.

ومما يدلنا على هذا أنَّه لما انتصر على قريش في غزوة بدر، وأسرمنهم سبعين رجلًا من صناديد قريش وغيرهم؛ جعل على كل واحد من الأسرى لفكاكه من الأسر فداء من المال، وعلى كل من عجز عن الافتداء بالمال إن كان ذا دراية بالكتابة أن يعلمها عشرة من صبيان المدينة، فلا يطلقونه إلا بعد تعليمهم، وبذلك راجت سوق الكتابة بالمدينة، وأخذت في الذيوع والانتشار في سائر الأنحاء كلما اتسعت رقعة الإسلام وكثرت فتوحاته؛ ولذلك لم يتم القرآن نزولًا حتى كان للرسول ﷺ أكثر من أربعين كاتبًا[1].

وكان أولو الأمر من المسلمين يعملون جاهدين على إذاعتها في سائر الأقطار الإسلامية؛ ليعلم الناس جميعًا أن الإسلام والعلم قرينان لا يفترقان، وأن

---

(١) وقد اجتهد بعض العلماء في جمع عدد كتاب النبي ﷺ فبلغ بهم نحوا من أربعة وأربعين كاتبًا، ينظر: المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي (١/ ٢٨).

الإسلام هو الدين الوحيد الذي يعمل على رفع مستوى الإنسانية إلى أوج الرقي والكمال.

قال العلماء: "كان الخط الذي تعلمه حرب، وعلمه القرشيين هو الخط الأنباري الحيري المسمى بعد انتقاله إلى الحجاز بـ(الحجازي)، وكان هذا الخط هو المتداول على أيدي الكاتبين يكتبون به رسائلهم وأشعارهم وغيرها إلى أن جاء الإسلام، فكتبوا به الوحي، ثم كتبوا به صحف أبي بكر ﷺ التى جمع فيها القرآن ثم كتبوا به المصاحف العثمانية وغيرها، واستمر تداوله بين الناس يكتبون به المصاحف وغيرها إلى أن فتح المسلمون الممالك، ومصروا الأمصار، ونزلت طائفة من الكتاب الكوفة فعنيت بتجويد الخط العربى وتحسينه حتى صار خط أهل الكوفة متميزًا بشكله عن الخط الحجازى، فحينئذ سمى (الخط الكوفى)، وبه كانت تكتب المصاحف وغيرها .

ثم أخذ الخط العربى يسمو ويرتقى على يد هؤلاء المهرة الذين كان لهم اليد الطولى في تجويده وتحسينه، وهم : قطبة المحرر، والضحاك بن عجلان، وإسحاق بن حماد، وقد استطاع قطبة أن يخترع من الخط الكوفى والحجازى خطًا آخر مزيج من الخطين السابقين، ويعتبر هذا الخط أساس الخط الذى يكتب به الآن، وفى عهد الدولة العباسية بدأ الخط العربى يساير سائرالعلوم نموًا وتقدمًا فى هذا العصر الذهبى على يد الوزير العظيم أبى على محمد بن مقلة الذى استطاع بعقليته الفذة، ونبوغه النادر أن يتمم ما بدأ به قطبة من تحويل

الكتابة العربية من صورتها الكوفية إلى الصورة التى عليها الآن، وقد اخترع أشكالاً كثيرة للخط العربي، وفروعًا متعددة وصورًا شتى لسنا بصدد الكلام عليها .

ثم جاء بعده على بن هلال البغدادى المكنى بابن البواب، فاقتفى أثر ابن مقلة، وأخذ طريقته فهذَّبَها ونقَّحَها، وأكمل قواعدها، وكساها بهجة وطلاوة حتى أوفت على الغاية.

وما برح العلماء والكتاب فى سائر الأمصار والأعصار يعنون بالكتابة، ويتفننون فى تجميلها وتنويعها، ويتبادرون فى إجادتها والنهوض بها نحو التقدم إلى أن بلغت الذروة فى جمال التنسيق، وكمال التنميق، وبراعة التهذيب كما هو مشاهد الآن –والله تعالى أعلم–.

كتابة القرآن في عهد الرسول ﷺ ومن اشتهر بها

اقتضت حكمة الله تبارك وتعالى ألا ينزل القرآن جملة واحدة كغيره من الكتب السماوية السالفة، بل أنزله مُنجَّمًا موزعًا على الحوادث، مقسَّمًا على الأزمان، وذلك لحكمٍ جليلةٍ، ومصالح جمةٍ منها: أنَّه كان ينزل بحسب الوقائع والحوادث التي كانت تحصل في المجتمع في عهد التشريع فتنزل الآيات مبينة حكم الله فيها، وبحسب الأسئلة التي كانت توجه إلى رسول الله ﷺ من المسلمين أو غيرهم، فتنزل الآيات جوابًا عنها، وبحسب الشُبَه التي كانت تختلج في صدرو أعداء الإسلام، فتنزل الآيات لدحضها بالحجج الدامغة، وبحسب ما كانت تقتضيه حال المسلمين من تقرير عقائد الدين وشرائعه، وأحكامه وفضائله ، ومنها أنه نزل تدريجيًا؛ ليكون أبلغ في التحدي، وأظهر في الإعجاز، ومنها أنَّه نزل كذلك للتدريج في تربية الأمة العربية تربية دينية وخلقية، وإعدادها لمنزلة الخلافة في الأرض، ومنها تيسير حفظه وفهمه والعمل بمقتضاه، ومنها تثبيت فؤاد النبي ﷺ في مواطن الخصومة حتى لا يبرح به الحزن على عدم إسراع قومه إلى الهداية، وليتفرغ لتبليغ الدعوة بعزيمة قوية، وقلب مطمئن.

وكان القرآن الكريم ينزل على النبي ﷺ فيحفظه ويبلغه للناس، ويأمر كتاب الوحي بكتابته، ويدلهم على موضع المكتوب من سورته، فيقول لهم ضعوا هذه

السورة بجانب تلك السورة، وضعوا هذه الآية في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا.

ومن الصحابة من كان يكتفي بتلقيه من فيه فيحفظه، ومنهم من كتب السورة أو الآيات أو السور، ومنهم من كتبه كله أو حفظه، وكانوا يكتبونه في العسب -جمع عسيب وهو جريد النخل كانوا يكشطون الخوص ويكتبون على الطرف العريض-، واللخاف -جمع لَخْفة بفتح اللام وسكون الخاء وهي الحجارة الرقاق-، والرقاع - جمع رقعة وهي تكون من جلد أو ورق أو غير ذلك-، وقطع الأدم - وهو الجلد -، وعظام الأكتاف -جمع كتف، وهو عظم عريض في كتف الحيوان كانوا يكتبون فيه؛ لقلة القراطيس عندهم-، والأضلاع -جمع ضلع، وهو عظم الجنبين-.

أشهر كُتّاب الوحي من الصحابة

والذين اشتهروا بكتابة القرآن بين يدي النبي ﷺ: أبوبكر الصديق، وعمر ابن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، وأبان بن سعيد، وخالد بن الوليد، وأُبَيُّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وثابت بن قيس، وغير هؤلاء من أجلاء الصحابة ﷺ أجمعين.

ولم ينقض عهده ﷺ إلا والقرآن الكريم مكتوب كله، بَيْد أنَّه لم يكن مجموعًا في مكان واحدٍ، ولا مرتب السور، وإنَّما لم يأمر الرسول ﷺ بجمع القرآن

الكريم في مصحف واحد؛ لأنَّ اهتمام الصحابة إنَّما كان بحفظه واستظهاره[١]، وأيضًا لما كان يترقبه من ورود زيادة، أو ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته ، فلما انقضى نزوله بوفاته ﷺ، وأمن توقع النسخ أَلْهَم الله ﷻ الخلفاء الراشدين ﷺ جَمْعه في مكانٍ واحدٍ وفاءً بوعده ﷻ الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة، فكان ابتداء ذلك على يد الصديق ؓ بمشورة عمر ؓ كما سيأتي.

وكان الرسول ﷺ يعارض جبريل عليه السلام بالقرآن مرة في شهر رمضان من كل عام، فلما كان العام الذي قبض فيه عارضه به مرتين، روى البخاري عن فاطمة ؓ قالت: «أَسَرَّ إِلَيَّ -أي النبي ﷺ- إِنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً وَإِنَّهُ عَارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ وَلَا أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي»[٢].

والخلاصة: أنَّ القرآن كان مكتوبًا كله في العهد النبوي، ولكنَّه لم يكن مجموعًا في مصحف واحد، ولا مرتب السور؛ بل كان مُفرَّقًا في العسب والرقاع وغيرها كما تقدم، وكان محفوظًا في صدور الصحابة، إلا أن منهم من كان يحفظه كله؛ لملازمته للرسول ﷺ كالخلفاء الأربعة وغيرهم، ومنهم من كان يحفظ معظمه، ومنهم من كان يحفظ بعضه، والله أعلم.

---

(١) واهتم الصحابة ﷺ أيضًا بفهمه وتدبره والعمل بما فيه وصيانته بجوار حفظهم لآياته.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ٢٠٣) برقم: (٣٦٢٣) (كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام).

جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر رضي الله عنه وسببه

جمع القرآن:

تُطلق هذه الكلمة على معنيين، الأول حفظه في الصدور، والثاني كتابته وتدوينه، وقد تحقق كلا المعنيين في عهده ﷺ.

أما المعنى الأول: فقد تحقق بحفظ الرسول ﷺ له في صدره، وانتقاشه على صفحات قلبه، وكذلك بحفظ كثير من الصحابة في حياته ﷺ منهم: الأربعة الخلفاء، وطلحة، وسعد، وحذيفة بن اليمان، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبو هريرة، وابن عمر، وابن عباس، وعمرو بن العاص، وابنه عبد الله، ومعاوية، وابن الزبير، وعبد الله بن السائب، وعائشة، وحفصة، وأم سلمة رضي الله عنهم، وهؤلاء من المهاجرين، وحفظه من الأنصار في حياته ﷺ أُبَيُّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو الدرداء، ومجمع بن حارثة، وأنس بن مالك رضي الله عنهم وغيرهم.

وأما المعنى الثاني: فقد تحقق في حياته ﷺ أيضًا بكتابته كله، وتدوينه بين يديه إن كان مبعثرًا في الأحجار والرقاع وغيرها كما سبق.

فلم ينتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى إلا والقرآن كله محفوظ في صدور معظم أصحابه، ومسجل فيما كتبوه فيه من العسب واللخاف وغيرها.

ثم قام بأمر المسلمين بعده أحق الناس به أبو بكر الصديق رضي الله عنه بمبايعة الصحابة له، فحدث في عهده ما نبهه إلى وجوب جمع القرآن الكريم في مصحف واحد؛ خشية عليه من التفرق والضياع.

فقد نشبت الحرب بينه وبين أهل الردة من أتباع مسيلمة الكذاب وغيرهم، وكان من أكبر الملاحم التي اشتبكت فيها جموع المسلمين بجموع المرتدين موقعة اليمامة المشهورة، وفيها قتل كثير من قراء الصحابة ﷺ، فلما وصل الخبر المدينة هال ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فدخل على أبي بكر رضي الله عنه فأخبره الخبر، وبَيَّن له ما يخشاه من ضياع القرآن إذا كثر القتل في قراء الصحابة، واقترح عليه جمع القرآن، فتردد أبو بكر رضي الله عنه أولًا؛ لأنَّ ذلك أمر محدث لم تكن له سابقة في عهد الرسول ﷺ، وكان أبوبكر أحرص الناس على اتباع رسول الله ﷺ، ومجانبة كل ما لم يفعله، ولكنه بعد نقاش طويل مع عمر رضي الله عنه اقتنع بصواب رأيه، وظهرت له المصلحة فيما يعرض عليه، وعلم أن ذلك الجمع، وإن لم يفعله الرسول ﷺ، من أكبر وسائل حفظ القرآن الكريم، وصيانته من الضياع، فأقدم على تنفيذ رأي عمر رضي الله عنه مراعاة لتلك المصلحة، وكان موفَّقًا غاية التوفيق فيها، كما كان موفَّقًا في غيرها من عظائم الأمور التي قام بها.

فأرسل إلى زيد بن ثابت رضي الله عنه -بعد استشارة عمر رضي الله عنه - يدعوه لكتابة القرآن، وجمعه في مكان واحد.

وإنما آثر الصديق زيدًا بهذه المنقبة مع أن في الصحابة من هو أكبر منه سنًّا، وأقدم إسلامًا، وأكثر فضائل؛ لأنَّه كان من أشهر الصحابة إتقانًا لحفظ القرآن الكريم كله، ووعيًا لحروفه، وأداءً لقراءاته، وضبطًا لإعرابه ولغاته، وكان مداومًا لكتابة الوحي للرسول ﷺ، وشهد العرضة الأخيرة للقرآن في حياته

ﷺ، وكان مع ذلك عاقلًا ورعًا كامل الدين والعدالة، مأمونًا على القرآن، غير متهم في دينه ولا خلقه، فاجتمع فيه من المزايا والخصائص ما لم يجتمع لغيره من أكابر الصحابة رضي الله عنهم ، فلذلك اختاره أبو بكر رضي الله عنه للقيام بهذه المهمة العظمى، فلما حضر عرض عليه أبو بكر رضي الله عنه فكرة جمع القرآن، واقترح عليه أن يتولى تنفيذها، فتردد زيد في ذلك، وناقش أبا بكر وعمر رضي الله عنهما في هذه الفكرة، فما زال به أبو بكر رضي الله عنه حتى اقتنع بصوابها، ووجوب تنفيذها، وشرع في ذلك، فكان يتتبع القرآن، ويجمعه من العسب واللخاف وصدورالرجال، ويتحرى أن يكون جمعه مما كتب بين يدي رسول الله ﷺ تحرِّيًا دقيقًا حتى أتم جمعه في صحف، وإنما كان زيد يتتبع المكتوب في هذه الأشياء مع حفظه القرآن كله؛ زيادة في الاحتياط، ومبالغة في الضبط، فتكون الكتابة مُعَاضِدة للحفظ، مناصرة له.

وفي ذلك يروي البخاري عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال: «أرسل إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه ، مَقْتَلَ أَهْلِ الْيَمَامَةِ[1] ، فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه عِنْدَهُ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه : إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ: إِنَّ الْقَتْلَ قَدِ اسْتَحَرَّ[2] يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِقُرَّاءِ الْقُرْآنِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ بِالْمَوَاطِنِ، فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرْآنِ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ الْقُرْآنِ. قُلْتُ لِعُمَرَ: كَيْفَ تَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟

---

(١) اليمامة: اسم مكان حدثت به المعركة بين المسلمين بقيادة خالد بن الوليد وبين أتباع مسيلمة الكذاب، وقد استشهد في تلك الموقعة عدد كبير من قراء الصحابة، وانتهت المعركة بانتصار المسلمين.

(٢) اسْتَحَرّ: أي كثر واشتد حتى قيل استشهد من القراء ٧٠، وقيل ٥٠٠ منهم سالم مولى أبي حذيفة.

قَالَ عُمَرُ: هَذَا وَاللهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللهُ صَدْرِي لِذَلِكَ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَى عُمَرُ، قَالَ زَيْدٌ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لَا نَتَّهِمُكَ، وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ ﷺ، فَتَتَبَّعِ الْقُرْآنَ فَاجْمَعْهُ. فَوَاللهِ لَوْ كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ. قُلْتُ: كَيْفَ تَفْعَلُونَ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: هُوَ وَاللهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما، فَتَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ الْعسبِ وَاللِّخَافِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ، حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ، لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]، حَتَّى خَاتِمَةِ بَرَاءَةَ، فَكَانَتِ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ رضي الله عنهما ».(١)

فأنت ترى من هذا الحديث أن جمع القرآن في مكان واحد لأول مرة كان في عهد أبي بكر رضي الله عنه، وكان قبل ذلك متفرقًا في العسب واللخاف وغيرها مما كانوا يكتبون فيه، وكان محفوظًا في صدور الرجال، وقد ندب أبو بكر لجمعه زيد بن ثابت؛ لأنَّه اجتمع فيه من المناقب ما أوجب تقديمه على غيره، واختصاصه بهذا الأمر الجلل كما سبق.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٦ / ١٨٣) برقم: (٤٩٨٦) (كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن).

ولما شرع زيد في جمعه اعتمد على مصدرين: الأول ما كان مكتوبًا في عهد الرسول الأعظم ﷺ، والثاني: ما كان محفوظًا في صدور الحفاظ، وكان يتوثق في الأخذ من المكتوب غاية التوثق، حتى يتيقن أنَّه مما كتب بين يدي الرسول ﷺ، وأنه مما ثبت في العرضة الأخيرة، ولم تنسخ تلاوته؛ ولذلك لم يكن يقبل شيئًا من المكتوب حتى يشهد شاهدان عدلان أنَّه كتب أمام الرسول ﷺ، ويدلُّك على ذلك ما أخرجه ابن أبي داود من طريق يحيى بن عبدالرحمن بن حاطب قال: قدم عمر[1] فقال: من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئًا من القرآن فليأت به، وكانوا يكتبون ذلك في الصحف والألواح والعسب، وكان لا يقبل من أحد شيئًا حتى يشهد شاهدان. قال السخاوي : المراد أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله ﷺ، ولم يعتمد زيد على الحفظ وحده، ولذلك قال في آخر سورة براءة أنَّه لم يجدها إلا مع أبي خزيمة أي: لم يجدها مكتوبة إلا معه مع أنَّه كان يحفظها، وكان كثير من الصحابة يحفظونها، ولكنَّه كان يريد أن يجمع بين الحفظ والكتابة زيادة في التوثيق، ومبالغة في الاحتياط، وقد راعي زيد في كتابة هذه الصحف أن تكون مشتملة على ما ثبتت قرآنيته متواترا، واستقر في العرضة الأخيرة، ولم تنسخ تلاوته، وأن تكون مجردة عما كانت روايته آحادًا، وعما ليس بقرآن من شرح أو تأويل، وأن تكون مرتبة الآيات والسور جميعًا.

---

(١) يوخذ من الأثر أن عمر رضي الله عنه كان يؤازر زيد بن ثابت في مهمته، وقد دلت العديد من الرويات على ذلك.

وتم جمع القرآن على هذا النحو من صدور الحفاظ؛ ومما كتب بين يدي الرسول ﷺ بإشراف أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وكان جمعه في عهد الصديق رضي الله عنه من أجلِّ مناقبه وأفضل مزاياه؛ لأنَّه ضمن للمسلمين حفظ كتابهم من التفريق والضياع؛ ولذلك قال عليٌّ رضي الله عنه: «أعظم الناس في المصاحف أجرًا أبو بكر، رحمةُ الله على أبي بكر هو أول من جمع كتاب الله سبحانه وتعالى»[١]، وإذا أمعنت النظر في صنيع أبي بكر في كتابة القرآن وجمعه لا تستطيع الحكم عليه بأنَّه من الأمور المستحدثة الخارجية، ولا من البدع الضارة الممقوتة، بل هو مستمد من القواعد التي وضعها الرسول ﷺ بتشريع كتابة القرآن، واتخاذ كتاب يكتبون له الوحي المنزل، ولذلك قال الإمام أبوعبد الله المحاسبي رحمه الله: "كتابة القرآن ليست بمحدثة"، فإنَّه لو كان يأمر بكتابته، ولكنَّه كان مفرقًا في الرقاع والأكتاف وغيرها، فإنَّما أمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان مجتمعًا، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله ﷺ فيها القرآن منتشر فجمعها جامع، وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء. ظلت هذه الصحف التي جمع فيها القرآن في رعاية الخليفة الأول أبي بكر رضي الله عنه مدة خلافته، ثم انتقلت بعده إلى رعاية الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه مدة خلافته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهما بعد وفاة أبيها، وبقيت عندها إلى أن ولي مروان المدينة؛ فطلبها

---

(١) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٩/ ١٢)، وابن أبي شيبة في "مصنفه" (١٥ / ٥٤٢) برقم: (٣٠٨٥٦) (كتاب فضائل القرآن، أول من جمع القرآن)، (١٩ / ٥١٩).

منها نأبت، فلما توفيت حضر جنازتها، وطلبها من أخيها عبد الله، فبعث بها إليه، فأمر بإحراقها، وقال إنَّما فعلت هذا لأنِّي خشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب في شأن هذه الصحف مرتاب)[1]. أ.هـ.

ولم يأمر مروان بإحراق هذه الصحف إلا بعد أمر عثمان رضي الله عنه بنسخ المصاحف العثمانية، وإرسالها إلى الأمصار، وأمره بإحراق كل ما عداها من المصاحف والصحف كما سيأتي قريبًا إن شاء الله تعالى.

---

(١) فالغرض من إتلافها سدٌّ ذريعة التشكيك والارتياب، فلا يستطيع أحدٌ بعد ذلك أن يدعيَّ أن بالمصاحف ما يخالف الصحف.

جمع القرآن وتدوينه في عهد عثمان ﷺ وسببه

بقيت تلك الصحف التي كتبها زيد بأمر الخليفة أبي بكر الصديق ﷺ عند حفصة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا صدرًا من خلافة عثمان ﷺ ، ويومئذ اتسعت الفتوح، وتفرق المسلمون في الأمصار والأقطار، وكان أهل كل إقليم من أقاليم الإسلام يأخذون بقراءة من اشتهر بينهم من الصحابة ، فأهل الشام يقرءون بقراءة أبي بن كعب، وأهل الكوفة يقرءون بقراءة عبد الله بن مسعود، وغيرهم يقرأ بقراءة أبي موسى الأشعري، فكان بينهم اختلاف في وجوه القراءة، ومنشأ هذا الاختلاف إنزال القرآن على سبعة أحرف، كما ثبت ذلك عن رسول الله ﷺ بطريق التواتر، وكان الذي يسمع هذا الاختلاف من أهل تلك الأمصار إذا احتوتهم المجامع، أو التقوا على جهاد أعدائهم يعجب من ذلك أشد العجب، وكان هذا الاختلاف مدعاة إلى فتح باب الشقاق والنزاع في قراءة القرآن الكريم؛ لأنَّ كل فريق يدَّعي أنَّه الذي على الحق، وأن غيره على الباطل، وكان بعضهم يفخر على بعض في قراءاته معتقدًا أنَّها الصواب وحدها، فيقول بعضهم لبعض: (قراءتي خير من قراءتك)، ويرد عليه الآخر بالمثل وهكذا حتى أفضى ذلك بهم إلى تأثيم بعضهم بعضًا، وإنكار بعضهم على بعض، وفي السنة الثانية أو الثالثة – على اختلاف الروايات – من خلافة عثمان ﷺ سنة خمس وعشرين من الهجرة اجتمع أهل الشام وأهل العراق في غزوة أرمينية وأذربيجان، وكان فيمن غزاها مع أهل العراق حذيفة بن اليمان ﷺ ،

فرأى كثرة اختلاف المسلمين في وجوه القراءة، وسمع ما كانت تنطق به ألسنتهم من كلمات التجريح والتأثيم التي يقذف بها بعضهم بعضًا حين اختلافهم في أوجه القراءة، فاستعظم ذلك حذيفة رضي الله عنه وأكبره ففزع إلى عثمان رضي الله عنه ، وأخبره بالذي رأى، وقال له: أدرك الناس قبل أن يختلفوا في كتابهم الذي هو أصل الشريعة، ودعامة الدين كما اختلف اليهود والنصارى، فأدرك عثمان رضي الله عنه بثاقب نظره، وحصافة عقله أن وراء هذا الاختلاف شرًا كبيرًا لا قِبَل للمسلمين به، وأنَّ الفتنة إن لم تعالج بالحكمة والحزم ستجر - لا محالة - إلى أسوأ العواقب، فأخذ يعالجها قبل أن يستفحل خطرها، ويتفاقم شرها، فجمع أعلام الصحابة وذوي الرأي منهم، وأخذوا يبحثون عن علاج لهذه الفتنة، ووضعِ حدٍ لهذا الاختلاف، فأجمعوا رأيهم على نسخ مصاحف يُرْسَل إلى كل مصر من الأمصار مصحف يكون مرجعًا للناس عند الاختلاف، وموئلًا عند التنازع، وعلى إحراق كل ما عدا هذه المصاحف، وبذلك تجتمع الكلمة، وتوحد الصفوف، ويستأصل دابر الخلاف.

ثم شرع عثمان رضي الله عنه في تنفيذ ما أجمعوا عليه، وندب للقيام بهذه المهمة الخطيرة أربعة من أجلاء الصحابة، وثقات الحفاظ، وهم: زيد بن ثابت رضي الله عنه - وهو الذي اختاره أبو بكر رضي الله عنه لجمع القرآن؛ لما امتاز به من المناقب السابقة - وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام رضي الله عنهم، وهؤلاء الثلاثة قرشيون وأرسل عثمان رضي الله عنه إلى حفصة رضي الله عنها أن أرسلي

إلينا بالصحف التي عندك؛ فأرسلتها إليهم فأخذوا في نسخها، وجاء في بعض الروايات أن الذين نُدِبوا لنسخ المصاحف اثنا عشر رجلًا من المهاجرين والأنصار منهم أُبَيُّ بن كعب ﷺ.

قانون عثمان رضي الله عنه في كتابة المصحف

كان نسخ هذه المصاحف بإشراف الخليفة عثمان رضي الله عنه، وأعلام الصحابة من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، وكانوا لا يكتبون في هذه المصاحف شيئًا إلا بعد أن يُعرض على الصحابة جميعًا، ويتحققوا أنَّه قرآن، وأنَّه لم تنسخ تلاوته، واستقر في العرضة الأخيرة، فلم يكتبوا ما نسخت تلاوته، ولم يكن في تلك العرضة الأخيرة، ولا ما كانت روايته آحادًا، ولا ما ليس بقرآن كالذي كان يكتبه بعض الصحابة في مصاحفهم الخاصة شرحًا لمعنى، أو بيانًا لناسخ أو منسوخ أو نحو ذلك، وقد كتبوا مصاحف متعددة(١).

وسنقفك على عددها قريبًا إن شاء الله تعالى؛ لأنَّ عثمان رضي الله عنه قصد إرسال ما وقع عليه إجماع الصحابة إلى الأقطار الإسلامية، وهي أيضًا متعددة، وكتبوا هذه المصاحف متفاوتة في الحذف والإثبات، والنقص والزيادة، وغير ذلك؛ لأنَّه قصد اشتمالها على الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن الكريم، وجعلت خالية من النقط والشكل تحقيقًا لهذا الغرض أيضًا، فالكلمات التي اشتملت على أكثر من قراءة، وخلوها من النقط والشكل يجعلها محتملة لما اشتملت عليه من القراءات تكتب برسم واحد في جميع المصاحف، وذلك نحو

---

(١) الفرق بين الصحف والمصحف: أنَّ الصحف الأوراق المجردة التي جمع فيها القرآن في عهد أبي بكر، وكانت سورًا مفرقة كل سورة مرتبة بآياتها على حدة، لكن لم يرتب بعضها إثر بعض، فلما نسخت ورتب بعضها إثر بعض صارت مصحفًا، فعثمان أراد نسخ الصحف التي كانت جمعت في عهد أبي بكر، وأن يجعلها مصحفًا واحدًا، ينظر: فتح الباري لابن حجر (٩/ ١٨، ١٩) بتصرف.

﴿فتبينوا﴾ و﴿ننشزها﴾ و﴿هيت لك﴾ و﴿أف﴾ وهكذا، وأما الكلمات التي تضمنت قراءاتين أو أكثر، وتجريدها من النقط والشكل لا يجعلها محتملة لما ورد فيها من القراءات لا تكتب برسم واحد في جميع المصاحف بل ترسم في بعض المصاحف برسم يدل على قراءة، وفي بعضها برسم آخر يدل علي القراءة الأخرى نحو ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ﴾ [البقرة: ١٣٢]، فقد رسمت في بعض المصاحف بواوين قبل الصاد من غير ألف بينهما، وفي بعضها بإثبات ألف بين الواوين ونحو ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، رسم في بعض المصاحف بواو قبل السين، وفي بعضها بحذف الواو، ونحو ﴿تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، في التوبة في الموضع الأخير فيها رسمت في المصحف المكي بزيادة (من) قبل (تحتها)، وفي بقية المصاحف بحذفها وهكذا.

وإنَّما لم يكتبوا هذا النوع من الكلمات بالرسمين معًا في مصحف واحد؛ خشية أن يُتَوَهَّم أن اللفظ نزل مكررًا في قراءة واحدة وليس كذلك، بل هما قراءتان نزل اللفظ في إحداهما بوجه، وفي الثانية بوجه آخر من غير تكرار في واحدة منهما، وكذلك لم يكتبوا هذه الكلمات برسمين: أحدهما في الأصل، والثاني في الحاشية؛ لئلا يُتوهم أن الثاني تصحيح للأول، وأن الأول خطأ، على أن كتابة أحدهما في الأصل، والآخر في الحاشية تحكم وترجيح بلا مرجح.

والذي دعا الصحابة ﷺ إلى سلوك هذا المنهج في كتابة المصاحف أنَّهم تلقوا القرآن عن رسول الله ﷺ بجميع وجوه قراءاته وحروفه التي نزل بها، فكانت

هذه الطريقة أدني إلى الإحاطة بالوجوه التي نزل عليها القرآن الكريم، فلا يقال أنَّهم أسقطوا شيئًا من قراءاته؛ لأنَّها كلها منقولة نقلًا متواترًا عن رسول الله ﷺ.

ومن هنا يتضح جليًا أن اختلاف القراء الذي أفزع حذيفة وعثمان رضي الله عنه وكان سببًا في كتابة المصاحف إنَّما كان في قراءات وأحرف تلقاها قراؤهم قبل العرضة الأخيرة، ثم نسخت بهذه العرضة، ولكن نسخها لم يبلغ هؤلاء القراء، وإلا لو كان مقصد عثمان رضي الله عنه جمع الناس على حرف واحدٍ وإلغاء باقي الأحرف التي بها القرآن ما جعل المصاحف متفاوتة في الحذف والإثبات ... إلخ، مما تقدم فكتابة المصاحف على هذه الكيفية دليل على أن عثمان رضي الله عنه أراد جمع الناس على ما توافر من القراءات دون ما نسخ أو شذ منها، وسيأتي لذلك مزيد بحث إن شاء الله تعالى.

وكان من قانون عثمان رضي الله عنه في كتابة المصاحف أيضًا أنَّه قال لهؤلاء القرشيين الثلاثة إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت رضي الله عنه في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنَّما نزل بلسانهم ففعلوا[1]"، وقد ورد أنَّهم اختلفوا في كتابة (التابوت)، فقال زيد "التابوه" بالهاء، وقال القرشيون "**التابوت**" بالتاءالمفتوحة، فرفعوا أمرهم إلى عثمان رضي الله عنه ، فأمرهم أن يكتبوه بالتاء المفتوحة؛ لأنَّه كذلك في لغة قريش.

---

(١) ينظر: المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز (١/ ٥٠).

ولما أتموا نسخ الصحف في المصاحف ردَّها عثمان إلى حفصة رضي الله عنها ، وأرسل إلى كل أفق من الآفاق الإسلامية بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق؛ سدًّا لباب الشر والفتنة، وحسْمًا لمادة النزاع، وحملًا للمسلمين على أن يجعلوا هذه المصاحف المرجع الوحيد، والأصل المعتمد.

وفي ذلك يروي البخاري أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان رضي الله عنه وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة رضي الله عنه اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان رضي الله عنه : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة رضي الله عنها أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها، ثم نردها إليك؛ فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام رضي الله عنهم فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان رضي الله عنه للرهط القرشيين: «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوا بلسان قريش؛ فإنَّما نزل بلسانهم»، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردَّ عثمان رضي الله عنه الصحف إلى حفصة رضي الله عنها ، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق.

وروي أبو قلابة: أن عثمان رضي الله عنه كتب إلى أهل الأمصار يأمر بمحو ما عندهم مما يخالف مصحفه، ولكن أكثر الروايات على أنَّه أمرهم بإحراقها، قال بعض الأفاضل: "وإنَّما لم يحرق عثمان رضي الله عنه صحف حفصة كما أحرق غيرها؛ لأنَّ هذه الصحف اعتبرت مصدرًا وأصلًا لمصحفه، وانعقد عليها إجماع الصحابة، وأما غيرها فقد تكون مخالفة لمصاحفه، فيكون سببًا للاختلاف.

كم مرة جمع القرآن الكريم؟

مما تقدم تعرف أن القرآن الكريم جمع -بمعنى كتب- ثلاث مرات:

الأولى: في العهد النبوي الشريف. **الثانية**: في عهد الصديق رضي الله عنه .

الثالثة: في عهد عثمان رضي الله عنه .

الفرق بين جمعه في عهوده الثلاثة:

فالجمعُ في العهدِ النبوي عبارة عن كتابة الآيات وترتيبها ووضعها في مكانها الخاص من سورها، ولكن مع بعثرة الكتابة وتفريقها بين عسب وعظام وغيرها كما سبق، وكان المقصود من هذا الجمع - بمعنى الكتابة - زيادة التحري في ضبط ألفاظه، وحفظ كلماته ، فوق ما في ذلك من تقديس القرآن، والتنبية على رفعة شأنه كما هو الشأن في تقييد الأشياء النفيسة، وإن كان المعول عليه في ذلك الوقت مجرد الحفظ في الصدور.

والجمعُ في عهدِ الصديق رضي الله عنه عبارة عن نقل القرآن جميعه وكتابته في مكان واحد وهو الصحف مرتب الآيات والسور، مقتصرًا فيه على ما ثبتت قرآنيته بالتواتر، وكان الغرض منه الاحتياط والمبالغة في حفظ هذا الكتاب خوفًا عليه، أو على شيء منه من الضياع بموت حملته وحفاظه.

والجمعُ في عهدِ عثمان رضي الله عنه ، فهو عبارة عن نقل ما في الصحف السابقة في مصاحف، وإرسال هذه المصاحف إلى أقطار الإسلام، وكان المقصود من جمع القرآن وكتابته في تلك المصاحف القضاء على هذه الفتنة التي ظهرت في صفوف المسلمين، وتوحيد كلمتهم، وحملهم على ما تضمنته تلك المصاحف

من القراءات الثابتة المتواترة دون ما لم يكن كذلك من الأوجه التي نزلت أولًا للتيسير، ثم نسخت بالعرضة الأخيرة، قال القاضي أبوبكر الباقلاني رحمه الله: "لم يقصد عثمان قصد أبي بكر رضي الله عنه في نفس جمع القرآن بين لوحين، وإنَّما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي ﷺ وإلغاء ما ليس كذلك، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير ولا تأويل أثبت مع تنزيل، ولا منسوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه ومفروض قراءاته وحفظه؛ خشية دخول الفساد، والشبهة على من يأتي بعد.

المصاحف العثمانية

عددها، حالتها، كيف أرسلت إلى الأمصار موقف المسلمين إزاءها

أولاً: عددها:

اختلف العلماءُ في عددِ المصاحفِ التي أرسلها عثمانُ رضي الله عنه إلى الآفاق على أقوالٍ كثيرةٍ، وأصحها في ذلك وأولاها بالقبول أنها ستة: (**البصري، الكوفي، الشامي، المكي، المدني العام لأهل المدينة، المدنى الخاص**)، وهو الذي حبسه عثمان رضي الله عنه لنفسه، وهو الذي يسمى بالمصحف الإمام، ولعل إطلاق هذا الاسم عليه؛ نظرًا لأنَّه الذي نسخ أولًا، ومنه نسخت المصاحف الأخرى، ولا مانع من إطلاق هذا الاسم على كل مصحف منها؛ لاقتداء أهل الأمصار بها.

ثانيًا: حالة المصاحف:

عرفت مما سبق ما اشتملت عليه المصاحف العثمانية من المزايا والخصائص، ونريد في هذا البحث أن نقفك على هذِه الحقبقة، هل كانت هذه المصاحف مشتملة على الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن الكريم؟ أم كتبت على حرف واحد من هذه الأحرف.

ذهب فريق من العلماء إلى أن المصاحف العثمانية ليس فيها إلا حرف واحد من الأحرف السبعة وهو حرف قريش، محتجين على ذلك بأنَّ باقي الأحرف إنَّما أنزلت في ابتداء الأمر في صدر الإسلام للتيسير على الأمة، ورفع الحرج والمشقة عنها، ولما رأى عثمان رضي الله عنه أن القراءة بالأحرف السبعة أصبحت مثار شقاق وفرقة بين المسلمين، وأنَّها إنما أنزلت ابتداءً للتيسير وللتسهيل؛ لأن إلزام جميع القبائل العربية بالتزام لغة واحدة لم تتعودها ألسنتهم يوقعهم في

الحرج والمشقة، وأنَّ الحاجة إلى هذه اللغات والأحرف قد انتهت، اقتصر في كتابة المصاحف من هذه الأحرف واللغات على واحدة هي لغة قريش، وأمر كُتَّاب المصاحف بأن يقتصروا في كتابتهم عليها محتجًا على ذلك بأن القرآن قد نزل بها؛ ولذلك قال لهؤلاء الكتاب: (إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن؛ فاكتبوه بلسان قريش، فإنَّما نزل بلسانهم).

وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف إلى أن المصاحف مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة، ومتضمنة لما ثبت من القراءات المتواترة في العرضة الأخيرة؛ لأنَّها كما علمت كانت خالية من النقط والشكل، فكانت محتملة للأحرف السبعة، لا على معنى أن كل مصحف منها مشتمل على جميع الأحرف السبعة، بل على معنى أن كل مصحف منها مشتمل على ما يحتمله رسمه من هذه الأحرف، وأن مجموعها لا يخلو عن الأحرف السبعة، فالأحرف السبعة منتشرة في المصاحف الستة، ومتفرقة فيها فقراءة: ﴿**ووصى**﴾ مثلًا وإن لم توجد في المصحف المدني والشامي قد وجدت في غيرهما، وقراءة: ﴿**تجري من تحتها الأنهار**﴾ بالتوبة في الموضع الأخير منها، موجودة في المصحف المكي وهكذا، وأما القراءات الثابتة في مثل ﴿**فتبينوا**﴾ و﴿**هيت لك**﴾ و﴿ **أف** ﴾ فكل مصحف يحتملها ضرورة خلوه من النقط والشكل، والخلاصة أنَّك لو نظرت إلى المصاحف مجتمعة لوجدتها مشتملة

على الأحرف السبعة، ولوجدت هذه الأحرف مثبوتة فيها، وهذا المذهب هو الذي يطمئن إليه القلب، ويهدي إليه النظر، وتدل عليه البراهين وإليك بيانها:

أولًا: أن هذه المصاحف العثمانية قد نسخت من الصحف التي أمر الصديق رضي الله عنه بجمعها، وقد أجمع العلماء على أن هذه الصحف سُجِّل فيها ما تواتر ثبوته عن النبي ﷺ من الأحرف السبعة، واستقر في العرضة الأخيرة، ولم تنسخ تلاوته، فصحف أبي بكر رضي الله عنه أصلًا ومصدرًا لمصحف عثمان رضي الله عنه.

ثانيًا: لم يرو في خبر صحيح ولا ضعيف أن عثمان رضي الله عنه أمر الكُتَّاب أن يقتصروا على حرف واحد، ويلغوا الستة الباقية.

ثالثًا: لا يصدق مؤمن يعرف للصحابة رضي الله عنهم قدرهم في قوة دينهم وتقديسهم كتاب ربهم، واعتقادهم أن فيه سعادتهم الدنيوية والأخروية، أقول لا يدور بخلد مؤمن أن هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم وهم -كثرة كاثرة- وكانوا وقتئذ اثني عشر ألفًا أو يزيدون يقرون عثمان رضي الله عنه على إلغاء ما تواترت قرآنيته عن رسول الله ﷺ مهما كانت البواعث على ذلك، على أن جمع كلمة المسلمين، ولم شعثهم، واستئصال بذور الشقاق من قلوبهم لا يحمل عثمان رضي الله عنه على إبطال شيء من القرآن الكريم، بل عليه - والحالة هذه - أن يأمر بكتابة ما ثبتت قرآنيته بالتواتر من الأحرف السبعة، واستقر في العرضة الأخيرة، وأن يُلْزِم الأمة بالوقوف عند هذا المتواتر، ويعلمهم بأن ما عداه من الوجوه التي نزلت في ابتداء الأمر للتيسير قد نسخت بالعرضة الأخيرة، فلا تجوز القراءة بها، ولا

اعتقاد قرآنيتها، وبذلك تُقمع الفتنة، وتُجمع الكلمة، وتُوحد الصفوف، ويُقضى على النزاع، وهذا هو ما قام به عثمان ﷺ ووافقه عليه صحابة رسول الله ﷺ.

رابعا: لو كان صحيحًا ما يدعيه أصحاب الرأي الأول من أن عثمان ﷺ أمر الكتاب أن يقتصروا على لغة قريش، ويتركوا ما سواها، لكان القرآن خاليًا من جميع اللغات إلا من لغة قريش، وهذا باطل في الواقع؛ لأنَّ القرآن فيه من الكلمات الأخرى غير لغة قريش ما يفوق الحصر، فوجود هذه الكلمات في القرآن من أوضح البراهين على أن المصاحف لم يُقْتَصر فيها على لغة قريش، بل كتب فيها من الأحرف السبعة ما تواتر وثبت في العرضة الأخيرة، وهاك بعض الأمثلة لهذه الكلمات: روى أبوعبيد عن الحسن قال لنا: " كنا لا ندري ما ﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾ حتى لقينا رجل من أهل اليمن، فأخبرنا أن الأريكة عندهم الحجلة فيها السرير، وعن الضحاك في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ قال: لا حيل، وهي بلغة أهل اليمن أيضًا، وأخرج أبوبكر الأنباري عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، قال ابن عباس: **أفلم يعلموا، وهى** لغة هوازن، وورد أن قوله تعالى: ﴿لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا﴾ لا ينقصكم وهي لغة عبس، وهكذا.

خامسًا: تناصرت الأدلة، وتظاهرت البراهين على أن بين المصاحف العثمانية اختلافًا في مواضع كثيرة، فقوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ﴾، في سورة

البقرة كتب في بعض المصاحف بـ(واوين) من غير ألف بينهما، وفي بعض المصاحف بـ(ألف بين الواوين)، وقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ في سورة آل عمران كتب في بعضها بـ(واو) قبل السين وفي بعضها بـ(حذف الواو)، وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الشعراء: ٢١٧]، في الشعراء كتب بـ(الواو)، وفي البعض بـ(الفاء) بدلها في البعض الآخر، وقوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ﴾ [الزخرف: ٧١]، في الزخرف كتب في بعضها بـ(الهاء) وفي بعضها بـ(غير هاء) هكذا ﴿تشتهي﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [الحديد: ٢٤]، في الحديد كتب في بعضها بإثبات لفظ ﴿هو﴾، وفي بعضها بحذفه إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة.

فلو كانت المصاحف مكتوبة بلغة واحدة، وهي لغة قريش لم يكن هناك داع لهذا الاختلاف.

وقد يقال أن قول عثمان رضي الله عنه للرهط الثلاثة القرشيين: "إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت رضي الله عنه في شيء من القرآن؛ فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم"، ففعلوا، يدل لأصحاب الرأي الأول، والجواب عن ذلك أن عثمان رضي الله عنه لا يريد من وراء هذه المقالة إلا الاختلاف من حيث الرسم[1] والكتابة لا من حيث جواهر الألفاظ والكلمات؛ جمعًا بين الأدلة، وتوفيقًا بين البراهين،

(١) فالمعنى إذا اختلفتم في رسم كتابته؛ فاكتبوه بالرسم الذي يوافق لغة قريش ولهجتها؛ فإنّه نزل بها.

على أنه لم يصل إلينا أنَّهم اختلفوا إلا في لفظ واحد فقط، وهو ﴿ٱلتَّابُوتُ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾ [البقرة: ٢٤٨]، هل يكتب بالتاء أو بالهاء؟ فرجعوا إلى عثمان ﷺ فأمرهم أن يكتبوه بـ(التاء)؛ لأنَّه يكتب بها في لغة قريش، وقد يتمسك أصحاب الرأي الأول أيضًا بقول عثمان ﷺ "فإنما نزل بلسانهم"، والحق أن لا متمسك لهم بهذا؛ لأن القرآن أنزل أولًا بلسان قريش؛ لأنهم هم المقصودون أولًا، ثم وسع الله على الأمة بإنزاله باللغات الأخرى؛ ليسهل عليهم ترتيله بغير تكلف يشغل عن تدبره.

ثالثا: كيف أرسلت هذه المصاحف إلى الأمصار؟

إنَّ نقل القرآن الكريم إنَّما يعتمد على التلقي من أفواه الشيوخ خلفًا عن سلف، وثقةً عن ثقة، وإمامًا عن إمام، حتى يصلوا إلى الحضرة النبوية، ولذلك لما أراد عثمان ﷺ إذاعة المصاحف، وإرسالها إلى الأمصار لم يرسلها وحدها لتكون المرجع الوحيد، بل أرسل مع كل مصحف إمامًا عدلًا ضابطًا تكون قراءته موافقة لما في هذا المصحف غالبًا، **فأمر زيد بن ثابت ﷺ أن يُقرِيء بالمدني، وبعث عبد الله بن السائب ﷺ مع المصحف المكي، والمغيرة بن شهاب ﷺ مع الشامي، وأبا عبد الرحمن السلمي ﷺ مع الكوفي، وعامر بن عبد القيس ﷺ مع البصري**، ثم نقل التابعون عن الصحابة، فقرأ أهل كل مصر بما يوافق مصحفهم تلقيًا عن الصحابة الذين تلقوه من الرسول ﷺ، فقام التابعون في ذلك مقام الصحابة، ثم تفرغ جماعة للقراءة والإقراء، والتعليم

والتلقين، حتى صاروا أئمة يُقْتَدى بهم، ويُؤخذ عنهم، وأجمع أهل بلدهم على تلقي قراءتهم واعتماد روايتهم، وممن نسبت القراءة إليهم، وأجمعت الأمة وهي معصومة من الخطأ في إجماعها على ما في المصاحف، وعلى ترك ما سواها من زيادة، ونقص وتقديم وتأخير وغير ذلك؛ لأنَّه لم يثبت عندهم ثبوتًا متواترًا أنَّه من القرآن.

موقف المسلمين إزاء تلك المصاحف

لما أمر عثمان ﵁ بنسخ المصاحف، وكتابتها على ما ثبت في العرضة الأخيرة، وترك ما سوى ذلك، وقف منه الصحابة جميعًا موقف التأييد والتعضيد، واستجابوا لندائه، فحرقوا مصاحفهم، واجتمعوا على المصاحف العثمانية، حتى ورد أنَّ عبد الله بن مسعود ﵁ أنكر باديء ذي بدء على عثمان ﵁ ؛ لأنه آثر زيد بن ثابت ﵁ في كتابة المصاحف على عبد الله ﵁ لما سبق من الأوصاف الموجبة لذلك، ولكنَّه لم يلبث أن رجع، وأقر ما عمله عثمان ﵁ ، واتفقت عليه كلمة الصحابة.

أخرج ابن أبي داود بسند صحيح عن علي ﵁ قال: «لا تقولوا في عثمان ﵁ إلا خيرًا فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منًّا، قال: ما تقولون في هذه القراءة؟ فقد بلغني أنَّ بعضهم يقول: أن قراءتي خير من قراءتك، وهذا يكاد يكون كفرًا، قلنا: فما ترى؟ قال: أرى أن يجمع الناس على مصحف واحد، فلا تكون فرقة، ولا اختلاف، قلنا: فنِعْم ما رأيت»[١].

وورد عن علي ﵁ أيضًا أنَّه قال: «لو كنت الوالي وقت عثمان ﵁ ؛ لفعلت في المصاحف مثل الذي فعل عثمان ﵁ »[٢] أ.هـ.

---

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن (٢/ ٣٩١)، وقد ورد عند البيهقي قول علي بن أبي طالب ﵁ : «لَوْ وُلِّيتُ مِثْلَ الَّذِي وُلِّيَ لَصَنَعْتُ مِثْلَ الَّذِي صَنَعَ»، ينظر: البيهقي في "سننه الكبير" (٢ / ٤٢) برقم: (٢٤١٣) (كتاب الصلاة، باب الدليل على أن ما جمعته مصاحف الصحابة كله قرآن)].

(٢) ينظر: تاريخ المدينة لابن شبة (٣/ ٩٩٥) ورد بلفظ: (اتقوا الله في عثمان ولا تغلوا فيه، ولا تقولوا حراق المصاحف، فوالله ما فعل إلا عن ملأ منا أصحاب محمد ﷺ)، وكذا ورد في المصاحف لابن أبي داود صـ٩٧، والإبانة الكبرى لابن بطة (٨/ ٤١١).

أما أهل الأقاليم الذين أرسلت إليهم المصاحف، فقد وقفوا منها موقف التقديس والإكبار؛ لأنَّهم علموا أنَّ كتابة هذه المصاحف لم يكن عملًا فرديًّا استقل به شخص ما، وإنَّما هو إجماع من أصحاب رسول الله ﷺ والذين مدحهم الرسول ﷺ وأثنى عليهم بما هم جديرون به، فقال ﷺ: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»[1]، وقال: «أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ بِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُمُ اهْتَدَيْتُمْ»[2]، وقال: «اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر»[3]، فلذلك وقفوا منها هذا الموقف المحمود، وتلقوها بالرضا والقبول، وجعلوها المصدر الوحيد يقتدون بها، ويحتكمون إليها.

□

---

(١) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١ / ١٧٨) برقم: (٥) (المقدمة، ذكر وصف الفرقة الناجية من بين الفرق التي تفترق عليها أمة المصطفى ﷺ) والحاكم في "مستدركه" (١ / ٩٥) برقم: (٣٢٨) (كتاب العلم، عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين).

(٢) ينظر: الشريعة للآجري (٤/ ١٦٩١).

(٣) ينظر: سنن الترمذي -دار الفكر (٥/ ٢٧٠)، وفضائل الصحابة لابن حنبل (١/ ١٨٦).

ما اشتهر من المصاحف في عهد الصحابة ﷺ

اشتهر في عهد الصحابة مصاحف أخرى غير المصاحف العثمانية التي سبق الكلام عليها، بَيْد أن هذه المصاحف لم تظفر بما ظفرت به المصاحف العثمانية من إجماع الصحابة عليها، ورضاهم بها، ووقوفهم عندما تتضمنه من الأوجه والقراءات، ولم تحرز عند أهل الأقاليم والأمصار ما أحرزته المصاحف العثمانية من الثقة والقبول.

ذلك أن هذه المصاحف كانت مصاحف فردية خاصة كتبها بعض الصحابة لنفسه، ولم يقتصر في كتابتها على ما استقر في العرضة الأخيرة، بل كتب فيها ما كانت روايته آحادًا، وما نسخت تلاوته، وما لم يكن في العرضة الأخيرة، وخلط فيها بين ألفاظ القرآن وما كان شرحًا لها، وبيانًا لتأويلها، وهذه المصاحف تختلف عن مصاحف عثمان رضي الله عنه تارةً بالزيادة، وأخرى بالنقص، ومرةً بالتقديم، وأخرى بالتأخير وهكذا، وإليك أنموذجًا من هذه المصاحف.

مصحف عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

كتب فيه في سورة الفاتحة: (سراط من أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين)، وفيه أيضا أول سورة آل عمران: "الم الله لا إله إلا هو الحي القيّام"، وفيه في سورة المدثر: (في جنات يتساءلون يا فلان ما سلكك في سقر).

مصحف علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

كتب فيه في سورة البقرة: (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه وآمن المؤمنون).

مصحف عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها:

كتب فيه في سورة البقرة: (حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى **وصلاة العصر**)، وفي رواية بحذف واو (وصلاة العصر)، وفيه أيضًا في سورة الأحزاب: (إنَّ الله وملائكته يصلون على النبي **والذين يصلون في الصفوف الأولى**).

مصحف حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها:

كتب فيه فى سورة البقرة أيضًا: (حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى **وصلاة العصر**).

مصحف أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها:

وفيه ما في مصحف حفصة رضي الله عنها: (حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى **وصلاة العصر**).

مصحف عبد الله بن الزبير رضي الله عنه:

كتب فيه في سورة البقرة: (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلًا من ربكم **في مواسم الحج**)، وفيه أيضا في سورة المائدة: (فيصبح **الفساق** على ما أسروا في أنفسهم نادمين)، وفيه في سورة آل عمران: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر **ويستعينون بالله على ما أصابهم**).

مصحف أبي بن كعب رضي الله عنه:

كتب فيه في سورة البقرة: (فلا جناح عليه ألا يطوف بهما)، وفيها أيضا: (للذين يقسمون من نسائهم)، وفي سورة النساء: (فما استمتعتم به منهنَّ إلى أجل مسمى)، وفي سورة المائدة: (فصيام ثلاثة أيام متتابعات).

مصحف عبد الله بن عباس ﵄ :

كتب فيه في سورة البقرة: (فإن آمنوا بما آمنتم به فقد اهتدوا)، وفيها: (فلا جناح عليه ألا يطوف بهما)، وفيها: (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج)، وفيها: (وأقيموا الحج والعمرة للبيت)، وفيها: (وإن عزموا السراح)، وفيها: (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر)، وفي سورة آل عمران: (وما يعلم تأويله إلا الله ويقول الراسخون في العلم آمنا به)، وفيها: (وشاورهم في بعض الأمر)، وفيها: (إنَّما ذلكم الشيطان يخوفكم أولياءه)، وفي سورة النساء: (فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى)، وفيها: (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات كانت لهم)، وفي سورة الأعراف: (كأنك حفي بها)، وفي سورة الحج: (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا مُحَدَّث)، وفي سورة النصر: (إذا جاء فتح الله والنصر).

مصحف عبد الله بن مسعود ﵁ :

كتب فيه في سورة البقرة: (اهبطوا مصر) بدون ألف، وفيها: (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت واسماعيل يقولان ربنا)، وفيها: (وأقيموا الحج والعمرة للبيت)، وفيها: (فلا رُفُوُثَ ولا فسوق ولا جدال في الحج)، وفيها: (تزودوا

وخير الزاد التقوى)، وفي سورة آل عمران: (الحي القيَّام)، وفيها: (وإن حقيقة تأويله إلا عند الله)، وفيها: (وناداه الملائكة يا زكريا إن الله)، وفيها: (ويا مريم اقنتي لربك واركعي واسجدي في الساجدين)، وفيها: (وإذ قالت الملائكة إن الله ليبشرك)، وفي سورة النساء: (إن الله لا يظلم مثقال نملة)، وفي سورة المائدة: (إن تعذبهم فعبادك)، وفي سورة الأنعام: (كالذي استهواه الشيطان)، وفيها: (لقد تقطع ما بينكم)، وفي سورةالأعراف: (قالوا ربنا ألا تغفر لنا وترحمنا)، وفي سورة الأنفال: (ولا يحسب الذين كفروا سبقوا)، وفي سورة التوبة: (قل أذن خير ورحمة لكم)، وفي سورة يونس: (حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بكم)، وفي سورة هود: (وآتاني رحمة من عنده وعميت عليكم)، وفيها: (فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك)، وفي سورة الرعد: (وسيعلم الكافرون لمن عقبى الدار)، وفي سورة النحل: (الذين توفاهم الملائكة)، وفي سورة الإسراء: (سبحت له الأرض وسبحت له السموات)، وفي سورة الكهف: (لكنِ هو الله ربي)، وفي سورة مريم: (ذلك عيسى ابن مريم قال الحق الذي فيه يمترون)، وفيها: (تكاد السموات لتتصدع منه)، وفي سورة طه: (قد نجيتكم)، وفي سورة الحج: (أذن للذين قاتلوا بأنهم ظلموا)، وفي سورة النور: (أنزلناها وفرضناها لكم)، وفي سورة الفرقان: (وهو الذي أرسل الرياح مبشرات)، وفي سورة الشعراء: (واتبعوهم مشرقين)، وفي سورة النمل: (فيمكث غير بعيد)، وفي سورة القصص: (وعميت عليهم الأنباء)، وفي سورة

السجدة: (فلا تعلم نفس ما **يخفي** لهم)، وفي سورة سبأ: (يقذف بالحق وهو علام الغيوب)، وفي سورة يس: (في شغل فاكهين)، وفيها: (على الأرائك متكئين)، وفيها: (**سلامًا** قوة من رب رحيم)، وفي سورة الزخرف: (**ما شَهِدَ** خلقهم)، وفيها: (وإنه **عليم** للساعة)، وفي سورة الشريعة: (وإذا قيل إن وعد الله حق **وإن** الساعة لا ريب فيها)، وفي سورة الحجرات: (لتعارفوا **وخياركم** عند الله أتقاكم)، وفي سورة القمر: (**خاشعةٌ** أبصارهم)، وفي سورة نوح: (ولا **يغوثًا ويعوقًا** بالتنوين فيهما).

نسخ المصاحف بعد عهد الخلفاء الراشدين وما أحدث بها من نقط وشكل وتجزئة

بيّنا في الكلام على جمع القرآن الكريم في عهد عثمان رضي الله عنه أنّه كتب المصاحف، ووجهها إلى الأقطار الإسلامية، وذكرنا أن هذه المصاحف كانت مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة، وكانت مجردة من النقط والشكل؛ لتكون محتملة لما تواترت قرآنيته من هذه الأحرف، واستقر في العرضة الأخيرة، ولم تنسخ تلاوته.

ولما أرسلت هذه المصاحف إلى آفاق الإسلام قوبلت من أهلها بما هي جديرة به من الإقبال عليها، ورضي الجميع عنها، فنسخوا على غرارها مصاحف كثيرة كان لها ما لتلك من القدسية والتبجيل، وكانت كسابقتها خالية من النقط والشكل؛ لما تقدم أيضًا.

ظلت هذه المصاحف هكذا حقبة من الزمن إلى أن كثرت الفتوحات الإسلامية، وانضوى تحت راية الإسلام كثير من بلاد الأعاجم، فاختلط اللسان الأعجمي باللسان العربي، وفشا اللحن على الألسنة، وكادت العجمة تطغى على الفصحى، وكان هؤلاء الأعاجم يعسر عليهم التمييز بين حروف القرآن وكلماته؛ لأنّها كما عرفت غير منقوطة ولا مشكولة، فخشى أمراء المؤمنين وولاتهم أن يفضي ذلك إلى اللحن في كتاب الله تعالى، فعملوا على تلافي ذلك، وإزالة أسبابه، وأخذوا من الوسائل ما يكفل صيانة الكتاب العزيز من اللحن، وحفظه من التصحيف، وهاك بيانها.

النقط والشكل:

أولًا: النقط وله معنيان:

الأول: ما يدل على ما يعرض للحرف من حركةٍ، أو سكونٍ، أو شدٍّ، أو مدٍّ، أو غير ذلك، ويسمى بعضهم هذا النقط (نقط الإعراب).

الثاني: ما يدل على ذوات الحروف، ويميز بين معجمها ومهملها؛ كالموضوع على الباء والتاء والثاء والجيم والذال وهلم جرا، فالنقطة التي على الباء قد ميزتها عما يشاركها في رسمها من التاء والثاء، والنقطة التي على الجيم قد ميزتها عن الحاء وهكذا، ويسمى بعضهم هذا النقط (نقط الإعجام).

ثانياً: الشكل: معناه يدل على ما يعرض للحرف من حركةٍ، أو سكونٍ، أو شدٍّ، أو مدٍّ، أو نحو ذلك، ويرادفه الضبط، وعلى هذا يكون المعنى الأول للنقط مساويًا لمعنى الشكل والضبط.

وقد اختلف العلماء اختلافًا كثيرًا في تعيين أول من أحدث النقط بمعنييه، وهل المُحدث له بكلا معنييه واحد، أم المُحدث له بأحد معنييه غير المحدث له بالمعنى الآخر، وأي المعنيين سابق على صاحبه.

والذي جنح إليه المحققون من العلماء أن المخترع الأول للنقط بمعناه الأول وهو (نقط الإعراب) أبو الأسود الدؤلي، وذلك أنَّ أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان كتب إلى زياد بن أبيه -وكان زياد واليًا على البصرة من قبل معاوية- يطلب عبيد الله بن زياد، فلما قَدِم عليه كلَّمه معاوية فوجده يلحن فرده إلى أبيه وكتب له كتابًا يلومه على وقوع ابنه في اللحن، فبعث زياد إلى أبي الأسود، وقال

له: إن هؤلاء الأعاجم قد أفسدوا لغة العرب، فلو وضعت شيئًا يُصلِح الناس به كلامهم، ويعربون به عن كلام الله تعالى؟ فأبى أبو الأسود لأمر ما، فأمر زياد رجلًا أن يجلس في طريق أبي الأسود، وقال له: "إذا مر بك أبو الأسود فاقرأ شيئًا من القرآن، وتعمد اللحن فيه"، فلما مر به أبو الأسود قرأ قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٣]، بجر اللام من لفظ ﴿وَرَسُولِهِۦ﴾ فاستعظم ذلك أبو الأسود، وقال: "عز وجه الله سبحانه وتعالى أن يتبرأ من رسوله"، ثم رجع إلى زياد وقال له: "قد أجبتك إلى ما طلبت، ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن"، ثم اختار أبوالأسود رجلًا من عبد القيس، وقال له: "خذ المصحف، وصبغًا يخالف لون مداد المصحف، فإذا فتحت شفتي فانقط واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف -أي أمامه-، وإذا كسرتها فاجعل النقطة في أسفله، فإذا أتبعت شيئًا من هذه الحركات غنة أي تنوينًا، فانقط نقطتين، فبدأ بأول المصحف حتى أتي على آخره"[١].

ويؤخذ من هذه القصة أن أول من اخترع النقط بمعناه الأول (وهو نقط الإعراب) المساوي للضبط والشكل هو أبو الأسود، وعنه أخذ العلماء، وتفننوا فيه، وأدخلوا عليه كثيرًا من التعديل كما سيأتي.

---

(١) ينظر: المحكم في نقط المصاحف صـ ٤، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٢٥/ ١٩٣).

أما النقط بمعناه الثاني (وهو نقط الإعجام) فقد اختلف في مخترعه الأول كذلك، وأرجح الآراء في ذلك أنَّه نصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر، وذلك أنه لما كثر الداخلون في الإسلام من الأعاجم كَثُر التصحيف في لغة العرب، وانتشر على كثير من الأفواه، فخيف على القرآن أن تمتد إليه يد هذا العبث، فأمر أمير المؤمنين عبدُ الملك بن مروان الحجاجَ بن يوسف -وكان واليًا من قِبَله على العراق- أن يعمل جاهدًا على إبعاد أسباب التحريف عن ساحة القرآن، فندب الحجاجُ للقيام بهذه المهمة نصرَ بن عاصم، ويحيى بن يعمر، وكانا من علماء الإسلام المبرزين في اللغة العربية وأسرارها، وفنون القراءات وتوجيهها، فلم يجدوا بُدًّا من إجابة ما ندبهما إليه الحجاج لما في ذلك من المصلحة العامة، والمحافظة على كتاب الله تبارك وتعالى، ثم أخذا في التنفيذ فوضعا هذا النوع من النقط؛ لتمييز الحروف بعضها من بعض، ليضمن بذلك سلامة القرآن من اللحن والتصحيف، وكان هذا النقط بلون مداد المصحف حتى يتميز عن النقط الذي وضعه أبو الأسود.

ويؤخذ من هذه القصة وما قبلها أن النقط بمعناه الأول سابق في الوجود عليه بمعناه الثاني ضرورة تقدم زمن زياد على زمن الحجاج، وأن المخترع له بمعناه الأول غير المخترع بمعناه الثاني.

ثم في عصر الدولة العباسية ظهر إمام النحو الخليل بن أحمد البصري، فأخذ نقط أبي الأسود، وصور فيه وجعله على هذا النمط المستعمل الآن، فجعل

الضمة (واوًا صغيرة) تكتب فوق الحرف، والفتحة (ألفًا صغيرة) مبطوحة، والكسرة (ياءً)، ثم وضع علامة للشدة[1] (رأس شين)، وللسكون (رأس خاء)، وعلامة للمدِّ وأخرى للروم والإشمام وهكذا، ثم إن هذه العلامات دخل عليها شيء من الاختزال والتحسين حتى آلت إلى ما هي عليه الآن.

والخلاصة:

أنَّ أول ما أُحدث في المصحف هو نقط الإعراب الذي وضعه أبو الأسود الدؤلي، ثم نقط الإعجام الذي وضعه نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر[2]، ثم الشكل الذي اخترعه الخليل بن أحمد؛ ليكون عوضًا عن نقط الإعراب.

وقد يعكر على هذا ما رواه الداني[3] عن يحيى بن كثير أنَّه قال: "كان القرآن مجردًا في المصاحف، فأول ما أحدثوا فيه النقط على الباء والتاء والثاء، وقالوا: لا بأس به هو نور له، ثم أحدثوا فيه نقطًا عند منتهى الآي، ثم أحدثوا فيه الفواتح والخواتم"، فإنَّ هذا الأثر يفيد أسبقية أن النقط على الباء والتاء والثاء هو أول ما أحدث بالصحف من هذا النوع وهو نقط الاعجام على نقط الإعراب ، والجواب عن ذلك أن معنى قولهم: "فأول ما أحدثوا فيه... إلخ، فتكون هذه الحروف الثلاثة هي أول ما نقط من الحروف المعجمة، ثم تمموا فنقطوا باقيها،

---

(١) قيل إن علامة الشدَّة وما بعدها إنما وضعت في العصر العباسي بعد زمن الخليل بن أحمد.

(٢) واستظهر الجعبريُّ أن أبا الأسود هو الذي ابتدع النقط بمعنييه، بدأ بنقط الإعراب، وثنى بنقط الإعجام، ثم أخذ عنه العلماء بعده، فكان له فضل السبق والتقدم.

(٣) ينظر: البيان في عد آي القرآن صـ ١٣٠.

ويتعين حمل هذا الأثر على هذا المعنى جمعًا بينه وبين ما استفيض استفاضة كادت تبلغ حد التواتر أنَّ أول من أحدث النقط هو أبو الأسود، وأن نقطه كان نقط إعراب.

وكان لهذا العمل المجيد وهو نقط المصحف وشكله أحسن الأثر، وأجل النفع في حفظ كيان الكتاب الحكيم، ووقايته من كل تشويه.

تجزئة المصحف

كما كانت المصاحف العثمانية خالية من النقط والشكل - كما سبق - كانت خاليةً من التجزئة أيضًا، ثم قامت طائفةٌ فقسمت القرآن ثلاثين قسمًا، وأطلقت على كل قسم منها اسم الجزء، وقسمت هذا الجزء إلى حزبين، وقسمت الحزب إلى أربعة أجزاء، وأطلقت على كل جزء منها اسم الربع، وكل ذلك معروف لا يكاد يجهله أحدٌ، ومن كُتَّاب المصاحف في الصدر الأول من كان يضع ثلاث نقط عند آخر كل فاصلة من فواصل الآيات إعلامًا بانقضاء الآية، ويكتب لفظ (خمس) عند انقضاء خمس آيات من السورة، ولفظ (عشر) عند انقضاء عشر آيات منها، فإذا انقضت خمس أخرى أعاد كتابة لفظ (خمس)، فإذا صارت عشرًا أعاد كتابة لفظ (عشر)، ولا يزال هكذا إلى آخر السورة، ولذلك قال قتادة: "بدؤا فنقطوا ثم خمسوا ثم عشروا"، ولعلك فهمت معنى خمسوا وعشروا، ومنهم من كان يضع مكان لفظ خمس رأس الخاء، ومكان لفظ عشر رأس العين اختصارًا ، ومنهم من كان يكتب اسم السورة وكونها مكية أو مدنية، ويكتب عدد آياتها في آخرها، وقد اختلف العلماء في ذلك كله، فأجازه قوم بكراهة، وآخرون بلا كراهة، وهذا هو الراجح لما في ذلك من تشويق القارئ، وتنشيطه على القراءة، والله تعالى أعلم.

ما يجب على كاتب المصحف وناشره

تمهيد: هل يجب التزام الرسم العثماني في كتابة المصحف الشريف؟ أم يجوز أن يكتب حسب القواعد العامة للإملاء.

اختلف العلماء في هذه المسألة على أقوال ثلاثة:

القول الأول: أنَّه لا يجب التزام الرسم العثماني، بل تجوز كتابة المصحف حسب القواعد الإملائية العامة، وممن أيَّد هذا القول، وانتصر له ابن خلدون، والقاضي أبو بكر البَاقِلاَّني وآخرون.

القول الثاني: أنَّه يجب كتابة المصحف لعامة الناس على القواعد الإملائية المعروفة لهم، ولا تجوز كتابته لهم بالرسم العثماني، وممن جنح إلى هذا المذهب صاحب البرهان "الزركشي"، وشيخ الإسلام العز بن عبد السلام.

القول الثالث: أنه يجب التزام الرسم العثماني في كتابة المصاحف، وإلى هذا ذهب جماهير العلماء من السلف والخلف.

أدلة القول الأول: واستدل أصحاب هذا القول بأدلة ثلاث:

الأول: أن هذه الخطوط والرسوم ليست إلا علامات وأمارات، فكل رسم يدل على الكلمة، ويفيد وجه قراءتها فهو رسم صحيح، وكاتبه حصيف.

الثاني: أن كتابة المصحف على الرسم العثماني قد توقع الناس في الحيرة والالتباس، والمشقة والحرج، ولا تمكنهم من القراءة الصحيحة السليمة؛ فيحرمون من الحصول على الثواب الموعود به على تلاوة القرآن الكريم، وربما يتعرضون للعقوبة والإثم إذا قرؤا قراءة غير صحيحة، فينبغي كتابة المصحف

حسب قواعد الإملاء الحديثة تيسيرًا على الناس، ورفعًا للحرج والمشقة عنهم، وتمكينًا لهم من القراءة الصحيحة حتى يحصلوا على الأجر الموعود به على تلاوة القرآن الكريم.

الثالث: ليس في الكتاب العزيز، ولا في السنة المطهرة، ولا في إجماع الأمة، ولا في قياس شرعى، ليس في شيء من ذلك ما يحتم على من يريد كتابة مصحف أن يكتبه برسم معين، وكيفية مخصوصة، ولذلك لم يرو عن الرسول الأعظم ﷺ أنَّه أمر أحدًا من كتاب الوحي حين كتابته أن يكتبه برسم خاص، ولا نهى أحدًا عن الكتابة بهيئة معينة.

أدلة القول الثاني: واستدل أصحاب هذا القول بأن كتابة المصحف بالرسم العثماني يوقع الناس في المشقة والحرج، ويفضى بهم إلى التغيير في كتاب الله ﷻ بالزيادة فيه أو النقص منه، قالوا: ومع هذا يجب الاحتفاظ بالرسم العثماني؛ لأنَّه من آثار سلفنا الصالح، فلا نتغاضي عنه بالكلية؛ مراعاة لجهل الجهلاء، بل يبقى في أيدي العارفين الذين لا يخلو زمان من وجودهم، وتشرف الزمان بهم، قال صاحب التبيان: (أما كتابة المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء، فقد جرى عليها أهل المشرق بناءً على كونها أبعد من اللبس، وتحاماه أهل المغرب؛ بناءً على قول الإمام مالك، وقد سُئِل هل يكتب المصحف على ما أحدث الناس من الهجاء؟ فقال: لا، إلا على الكتبة الأولى)، قال في البرهان: (قلت: وهذا كان في الصدر الأول، والعلم غض حيّ، وأما الآن فقد يُخشى الالتباس،

ولهذا قال: الشيخ عز الدين بن عبد السلام: لا تجوز كتابة المصحف الآن على الرسم الأول باصطلاح الأئمة؛ لئلا يوقع في تغيير من الجهال)، قال في البرهان: (ولكن لا ينبغي إجراء هذا على إطلاقه؛ لئلا يؤدي إلى درس العلم، وشيء قد أحكمته القدماء لا يترك مراعاة لجهل الجاهلين، ولن تخلوا الأرض من قائم لله ﷻ بحجة).

أدلة القول الثالث: واستدل أصحاب هذا القول بأن النبي ﷺ كان له كتاب يكتبون الوحي، وقد كتبوا القرآن كله بهذا الرسم، وأقرهم الرسول ﷺ على كتابته، وانتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى وقد كتب القرآن على هذه الكيفية المخصوصة، لم يحدث فيها تغيير ولا تبديل، ثم تولى الخلافة بعده أبوبكر رضي الله عنه فكتب القرآن كله في الصحف على هذه الهيئة، ثم جاء عثمان رضي الله عنه فنسخ المصاحف العديدة من صحف أبي بكر رضي الله عنه .وكتبها كلَّها على هذا الرسم أيضًا، ووزعها على الأمصار؛ لتكون إمامًا للمسلمين، ولم ينكر أحد من الصحابةعلى أبي بكر ولا على عثمان رضي الله عنهما ، بل ظفر كل منهما بإقرار جميع الصحابة لعملهما، ثم جاء عصر التابعين، وأتباع التابعين، والأئمة المجتهدين،ولم يثبت أنَّ أحدًا منهم حدثته نفسه بتغيير رسم المصاحف، بعين التقديس والإكبار في سائر العصور المختلفة والأزمان المتفاوتة مع أنَّه قد وجد في تلك العصور المختلفة أناس يقرءون القرآن ولا يحفظونه، وهم في الوقت نفسه لا يعرفون من الرسم إلا ما وضع قواعده في عصر التأليف والتدوين،

وشاع استعمالها بين الناس في كتابة غير القرآن، ولم يكن وجود هذا الصنف من الناس مما يبعث الأئمة على تغيير رسم المصحف بما يقتضي به تلك القواعد، وإذا كان هذا الرسم قد حظي بإقرارالرسول ﷺ وإجماع الصحابة ﵃، واتفاق التابعين وأتباعهم والأئمة المجتهدين عليه؛ فلا يجوز العدول عنه إلى غيره خصوصًا وأنَّه أحد الأركان التي تنبني عليها صحة القراءة.

نصوص أئمة الدين وأعلام الإسلام في ذلك:

روى السخاوي أن مالك بن أنس إمام دار الهجرة سُئِل أرأيت من استكتب مصحفًا أرأيت أن يكتب على ما استحدثه الناس من الهجاء اليوم؟ فقال: "لا أرى ذلك، ولكن يكتب على الكتبة الأولى"، قال السخاوي: "والذي ذهب إليه مالك هو الحق إذ فيه بقاء الحالة الأولى إلى أن تعلمها الطبقة الأخرى بعد الأخرى، ولا شك أن هذا هو الأحرى إذ في خلاف ذلك تجهيل الناس بأولية ما في الطبقة الأولى". أ.هـ.

وقال أبو عمرو الداني: "لا مخالف لمالك من علماء هذه الأمة"، وقال الداني أيضًا: "سُئِل مالك عن الحروف في القرآن مثل الواو والياء والألف أترى أن يغير من المصحف إذا وجد فيه شيء من ذلك؟ قال: لا، قال أبو عمرو يعني الواو والياء والألف الزائدات في الرسم المعدومات في اللفظ، نحو "**لا أذبحنه**" و"**بأييد**" و"**أولوا**" وهكذا"، وقال الإمام أحمد بن حنبل: "تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ألف أو ياء أو غير ذلك"، وقال صاحب

المدخل: "ويتعين على كاتب المصحف أن يترك ما أحدثه بعض الناس في هذا الزمان من نسخ المصحف على غير المرسوم الذي اجتمعت عليه الأمة".

وقال النيسابوري: "قال جماعة من الأئمة أنَّ الواجب على القراء والعلماء وأهل الكتابة أن يتبعوا هذا الرسم في خط المصحف؛ فإنَّه رسم زيد بن ثابت ﷺ وكان أمين رسول الله ﷺ وكاتب وحيه".

وقال البيهقي في شعب الايمان: «من كتب مصحفًا فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف، ولا يخالفهم فيه، ولا يغير مما كتبوه شيئًا فإنَّهم كانوا أكثر علمًا وأصدق قلبًا ولسانًا، وأعظم أمانةً منًّا، فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكًا عليهم»[1]، ونقل الإمام الجعبري وغيره إجماع الأئمة الأربعة على وجوب اتباع رسم المصحف العثماني.

والذي تطمئن إليه النفس، ويوحي به الدين، وتهدي إليه الأدلة هو القول الثالث لأمور:

أولًا: أنَّ ما أورده أصحاب هذا القول من نصوص علماء الإسلام ظاهر في وجوب التزام الرسم العثماني في كتابة المصاحف.

ثانيًا: أن قواعد الإملاء والهجاء الحديثة عرضة للتغيير والتنقيح في كل عصر وفي كل جيل، وحيطتنا للكتاب العزيز، وتقديسنا له يضطرنا إلى أن نجعله بمنأي عن هذه التغييرات في رسمه وكتابته.

---

(١) شعب الإيمان (٤/ ٢١٩).

ثالثًا: أن تغيير الرسم العثماني رُبَّما يكون مدعاة - من قريب أو من بعيد - إلى التغير في جوهر الألفاظ، والكلمات القرآنية، وفي ذلك ما فيه من الفتنة الكبرى، والشر المستطير، وسدُّ الذرائع مهما كانت بعيدة، أصل من أصول الشريعة الإسلامية التي عليها الأحكام،وما كان موقف الأئمة من الرسم العثماني إلا بدافع هذا الأصل العظيم مبالغة في حفظ القرآن الكريم، وصيانة له من العبث.

رابعًا: في هذا الرسم خصائص ومزايا كثيرة، وقد تكفل علماء الرسم ببيانها، فارجع إليها إن شئت.

وأما ما يتعلل به أصحاب الرأيين الأولين من أن كتابة المصاحف على الرسم العثماني توقع الناس في حيرة وارتباك ... إلخ ما قالوه؛ فمردود بأنَّ المصاحف في هذا العصر خصوصًا المصحف الحكومي قد ضبطت بالشكل التام، وألفها الناس، ومرنوا على القراءة فيها من غير حرج ومشقة، ومن قرأ "التعريف بالصحف الأميري - الموضوع في ذيله يستطيع أن يقرأ في المصحف بغاية اليسر والسهولة".

قواعد واجبة على كاتب المصحف وناشره:

يجب عليه أن يتحرى كتابته على قواعد الرسم العثماني، ولا يخل بشيء منها بزيادة أو نقص، أو إثبات أو حذف؛ صيانةً للقرآن الكريم من عبث العابثين، واقتداء بالصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين وأعلام الإسلام في سائر الأعصار والأمصار لا فرق في ذلك بين المصاحف الكاملة، والصحف

الصغيرة "الأجزاء التي يتعلم فيها الصغار، ومن في حكمهم من الكبار"؛ ليتمرنوا على قواعد هذا الرسم منذ نعومة أظافرهم.

وعلى معلمي القرآن حيثما كانوا ألا يدخروا وسعًا في تعليم أبنائهم تلك القواعد من الصغر؛ حتى يشبوا وقد وقفوا عليها، وأحاطوا بها خبرًا وأصبحت القراءة في المصحف سجية لهم، وميسورة عليهم.

ويجب عليه أيضا أن يرسم الكلمات رسمًا يوافق الرواية التي يكتب المصحف عليها، ولو احتمالًا، فيرسم "**وسارعوا** "بإثبات الواو إذا كان على رواية حفص مثلًا، ويرسم "**ملك يوم الدين**" على رواية حفص أيضا بحذف الألف؛ لأنَّ رسمه كذلك يوافق روايه حفص احتمالًا، فيمتنع رسم الكلمات بما لا يوافق الرواية لا صراحة ولا احتمالًا، فتأمل.

ما يستحب من كاتب المصحف وناشره:

ويستحب من كاتب المصحف وكذا من ناشره أن يجتهد في تحسين كتابته وإيضاحها، وتبيين حروفه وتجويدها، وأن يكتبه في حجم كبير احترامًا للقرآن الكريم، وتعظيمًا لشأنه؛ ولذلك ورد أن عمر بن الخطاب ﵁ وجد مع رجل مصحفًا قد كتبه بخط دقيق، فكره ذلك عمر ﵁ ، وضرب الرجل وقال له: "عظموا كتاب الله" ﷻ.

وتجوز كتابة المصحف بالذهب، وقد استحسن هذا الإمام الغزالي، ولكن ورد عن ابن عباس وأبي ذر وأبي الدرداء ﵃ أنَّهم كرهوا ذلك، وقد مر على ابن

مسعود ﷺ رجلٌ يحمل مصحفًا قد زُيِّن بالذهب، فقال ابن مسعود ﷺ: "إن أحسن ما زين به المصحف تلاوته بالحق".

ويجوز نقط المصحف وشكله، وقد كرهه جماعة من السلف، وروي عن الإمام مالك أنه أباح نقط المصحف وشكله في مصاحف الصغار، ومن في حكمهم من الكبار، ومنع ذلك في الأمهات أي المصاحف الكاملة، وعن الحسن وابن سيرين أنَّهما قالا: "لا بأس بنقط المصحف"، وعن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أنَّه قال: "لا بأس بشكل المصحف"، قال الإمام النووي من كبار علماء الشافعية: "نقط المصحف، وشكله مستحبٌ؛ لأنَّ ذلك صيانة له من اللحن والتحريف"، وقال الإمام الداني في كتاب النقط: (والناس في جميع أمصار المسلمين من لدن التابعين إلى وقتنا هذا على الترخيص في ذلك -أي في نقط المصحف وشكله- في الأمهات وغيرها، ولا يرون بأسًا برسم فواتح السور، وعدد آيها، ورسم الخموس والعشور في مواضعها)، والخطأ مرتفع عن إجماعهم.

والذي أراه أن نقط المصحف وشكله شكلًا كاملًا واجبٌ في هذا الزمن؛ لتيسير قراءة القرآن على سائر الناس، وللمبالغة في صيانته من اللحن والتحريف،

وتجوز كتابة أسماء السور في ابتداء كل سورة، وعدد آياتها، وبيان كون السورة مكية أو مدنية، من غير تعرض لذكر المستثنيات لعدم الاتفاق عليها، كما تجوز كتابة علامات الأجزاء والأحزاب والأرباع، والسجدات، وعلامات

الوقوف، وأرقام الآيات، وعلامات فواتح السور وخواتمها، وقد كره ذلك كله جماعة من السلف؛ لقول ابن مسعود: "جردوا القرآن، ولا تخلطوا به ما ليس منه".

والذي أراه أن ذلك كله لا بأس به، وإليه جنح جماهير العلماء من السلف والخلف كما تقدم عن الداني، ويجوز تحلية المصحف بالفضة إكرامًا له على الصحيح، فقد أخرج البيهقي عن الوليد بن مسلم قال: "سألت مالكًا عن تفضيض المصاحف فأخرج إلينا مصحفًا، فقال: حدثني أبي عن جدي أنَّهم جمعوا القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه، وأنهم فضضوا المصاحف على هذا ونحوه، وأما بالذهب فالأصح جوازه للمرأة دون الرجل، وخص بعضهم الجواز بنفس المصحف دون غلافه المنفصل عنه، والأظهر التسوية.أهـ. [من الإتقان للسيوطي].

حالة المصاحف في دور الطباعة

لما أنشئت المطابع في مصر وغيرها من البلاد الشرقية كان جل عنايتها بالمصحف الكريم، وكانت تتسابق في إبرازه في أحسن صورة، وأكرم منظر، وأجمل تنسيق.

وذلك على أشكال شتي، وألوان متنوعة، وحجوم مختلفة، غير أن هذه المطابع - على كثرتها واختلافها وعنايتها الفائقة بطبع المصحف - ما كانت تراعي في طبعه قواعد الرسم العثماني التي كتب عليها في عهد عثمان ﷺ ، وفي عهد الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين، تلك القواعد التي تلقَّها الخلف عن السلف بالرضى والتسليم لما وقفوا عليه من مزاياها وأسرارها، بل كانت تعتمد في رسمه على قواعد الإملاء المحدثة اللّهم إلا في النزر اليسير من الكلمات كانت تكتب على قواعد الرسم العثماني.

ظلت المصاحف هكذا زمنًا غير قصير حتى قيض الله ﷻ لها علمًا من أعلام القرآن، فرجع بها إلى قواعد الرسم العثماني، وهو الأستاذ العلامة المحقق المغفور له الشيخ رضوان بن محمد الشهير بالمخللاتي صاحب المؤلفات المفيدة الجامعة، فكتب مصحفًا جليل الشأن عظيم الخطر، عني فيه بكتابة الكلمات على قواعد الرسم العثماني، كما عنى فيه ببيان عدد آي كل سورة في أولها على مذاهب علماء العدد المشهورين.

واضعًا على رأس الفاصلة المختلف فيها اسم من يعدُّها، ثم بين أماكن الوقوف، وقسم الوقف إلى ستة أقسام: كاف، حسن، جائز، صالح، مفهوم،

وتام، مشيرًا إلى الكافي بـ(الكاف)، والحسن بـ(الحاء)، والجائز بـ(الجيم)، والصالح بـ(الصاد) والمفهوم بـ(الميم)، والتام بـ(التاء).

وقد صُدِّر هذا المصحف بمقدمةٍ جليلةٍ أبان فيها أن هذا المصحف حرر رسمه وضبطه على ما في كتاب المقنع للإمام الداني، وكتاب التنزيل لأبي داود، ولخص فيها تاريخ كتابة القرآن في العهد النبوي، وجمعه في عهدي أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما ، كما لخص مباحث الرسم والضبط في جمل وجيزة مفيدة، ثم انتقل إلى بيان علماء العدد المشهورين، وإلى تعريف معنى السورة والآية، كل ذلك في عبارة سهلة، وتركيب بديع.

وقد طبع هذا المصحف في المطبعة البهية لصاحبها الشيخ محمد أبى زيد سنة ثمان وثلاثمائة وألف هجرية ١٣٠٨هـ، وكان هذا المصحف هو المتداول بين أهل العلم والقراء، المعول عليه عندهم، المقدم دون سائر المصاحف؛ لما اشتمل عليه من المزايا السابقة، بَيْد أنَّه لم يبرز في صورة حسنة تروق الناظر، وتنشط القاريء؛ لرداءة ورقه، وسوء طبعه، إذ إنَّه طُبِع في مطبعة حجرية.

ثم كان من حسنات -المغفور له- الملك فؤاد الأول، وأعماله المبرورة المشكورة أن أمر بطبع المصحف على نفقته الخاصة، وبالعناية الفائقة به، فكُوِّنت لجنة من أساطين العلم، ونوابغ الأدب، وعلى رأسهم المغفور له العلامة الشيخ/ محمد على خلف الحسيني الحداد، شيخ المقاريء المصرية السابق للاضطلاع بهذه المهمة الخطيرة الشاقة، فقاموا أحسن الله جزاءهم بما

أسند إليهم على أتم وجه وأكمله، فكتبوا القرآن كله حسب قواعد الرسم العثماني، وضبطوه الضبط التام على ما ذهب إليه المحققون من العلماء، وبينوا في ترجمة كل سورة عدد آيها، وأنّها مكية أو مدينة، وأنّها نزلت بعد سورة كذا، ووضعوا لكل آية رقمها الخاص بها، كما وضعوا علامات للوقوف، والأجزاء، والأحزاب، والأرباع، والسجدات، ثم قسموا الوقف إلى خمسة أقسام :

الأول: ما يلزم الوقف عليه، ولا يصح وصله بما بعده، ووضعوا له علامة هي الميم المفردة هكذا(**م**).

الثاني: ما يصح الوقف عليه، والابتداء بما بعده، كما يصح وصله بما بعده، غير أنَّ الوقوف عليه أرجح من وصله بما بعده، وقد وضعوا لهذا القسم هذه العلامة (**قلي**) وهي كلمة منحوتة، وأصلها (الوقف أولى).

الثالث: كالثاني غير أن وصله أرجح من الوقف عليه، وقد وضعوا له هذه العلامة (**صلي**) وهي كلمة منحوتة أيضا، وأصلها (الوصل أولى).

الرابع: ما يجوز فيه الوقف والوصل على السواء من غير ترجيح لأحدهما على الآخر، ووضعوا لهذا القسم هذه العلامة (**ج**).

الخامس: ما لا يصح الوقف عليه والابتداء بما بعده، فإذا وقف عليه لانقطاع نفس أو استراحة، أو نحو ذلك تعين عليه أن يرجع، فيصله بما بعده، ووضعوا لهذا القسم هذه العلامة (**لا**).

والناظر في المصحف المذكور يعرف الأمثلة الكثيرة لهذه الأقسام الخمسة.

وإننا مع تقديرنا لهذه اللجنة، وتقديسنا لعملها، واعتقادنا أنها بذلت من المجهود في طبع هذا المصحف، وإبرازه في هذه الصورة الشيقة ما تحمد عليه، ويعد من مآثرها الخالدة، وأعمالها الجليلة المجيدة نلاحظ عليها ما يأتي:

أولًا: رسم بعض الكلمات بما يخالف مصاحف أهل العراق التي عليها رواية حفص، وما يخالف قواعد الرسم العامة.

ومنها لفظ ﴿كَلِمَتُ﴾ من قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٣٧]، فقد كتب في المصحف بتاء مربوطة، وحقه أن يكتب بتاء مفتوحة؛ لأنَّه كذلك في المصاحف العراقية، ومن أجل ذلك أجمعت الطرق عن حفص على الوقف على هذا اللفظ بالتاء.

ومنها لفظ ﴿لِلطَّٰغِينَ﴾ من قوله تعالى في سورة ص: ﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٥٥]، وقوله تعالى في سورة النبأ: ﴿لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾ [النبأ: ٢٢]، كتب بالألف فيهما، وحقه أن يكتب بحذفها هكذا ﴿لِلطَّٰغِينَ﴾؛ لأنَّه الذي عليه العمل عند علماء الرسم؛ ولذا حذفت في قوله تعالى في سورة الصافات: ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾ [الصافات: ٣٠]، وقوله تعالى في سورة القلم: ﴿إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾ [القلم: ٣١]، ومنها كلمة ﴿قَآئِمٌ﴾ من قوله تعالى في سورة الرعد: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣] كتبت الهمزة فيها فوق صورة الياء، وحقها أن تكتب تحتها هكذا ﴿قَآإِمٌ﴾ كما هي القاعدة عند علماء الرسم، ولهذا

كتبت في قوله تعالى في سورة آل عمران ﴿وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ﴾ [آل عمران: ٣٩]، ومنها لفظ ﴿كَلِمَتُ﴾ في قوله تعالى في سورة يونس: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [يونس: ٩٦] كتبت في المصحف بتاء مفتوحة هكذا ﴿كَلِمَتُ﴾ وحقه أن يكتب بتاء مربوطة ﴿كَلِمَةٌ﴾؛ لأنه كذلك في مصاحف أهل العراق، وقد نص على ذلك الداني في المقنع، والشاطبي في العقيلة(١).

ثانيًا: ضبط بعض الكلمات بما يخالف رواية حفص أيضًا، وقد وقع ذلك في نيف وثلاثين موضعًا أكثرها أواخر السور، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ﴾ [المائدة: ١٢٠]، آخر آية في سورة المائدة، فقد وضع على الراء من ﴿قديرٌ﴾ ضمتان، وهذا الضبط مبني على وصل آخر السورة التي تليها مع عدم الفصل بينهما بالبسملة مع أن جميع الطرق عن حفص على الفصل بالبسملة بين السورتين، فحق الراء أن يوضع عليها ضمة تعانقها ميم ﴿قَدِيرُۢ﴾ مراعاةً للبسملة؛ لأنَّ التنوين حين يلتقي بالباء يقلب ميمًا، كما هو مقرر في علمي التجويد والضبط، ومن الأمثلة أيضًا قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمۡ

(١) المسألة خلافية بين العلماء في رسمها بالتاء المفتوحة أو رسمها بالتاء المربوطة، وقد اختار الشيخ عبد الفتاح القاضي في الكتاب ترجيح الرأي القائل بكتابتها بتاء مربوطة، واختارت لجنة مراجعة المصحف رأي الجمهور القائل بكتابتها بتاء مفتوحة، وهو ما عليه العمل حتى يومنا هذا، قال الشيخ المرصفي: (والأولى والقياس رسم موضع غافر والثاني من يونس بالتاء كما قال به الجمهور)، ينظر: هداية القاري إلى تجويد كلام الباري (٢/ ٤٧٤).

﴿كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ﴾ [الفيل: ٥]، آخر سورة الفيل، فقد وضع على اللام من ﴿مأكولِ﴾ كسرتان، كما وضعت شدة على اللام من قوله "**لِّإِيلَٰفِ**" أول سورة قريش، وهذا بناءً على وصل آخر السورة بأول ما بعدها مع قطع النظر عن البسملة أيضًا، والواجب مراعتها كما سبق، فحينئذ يوضع على لام مأكول كسرتان، وتترك شدة لام لإيلاف قريش.

ثالثًا: وضع بعض علامات الوقوف في غير أماكنها اللائقة بها، والتفريق بين النظائر بوضع علامة في بعضها، وتعرية البعض الآخر من العلامة، والواجب التسوية بين النظائر.

ومن أمثلة النوع الأول[1] وضع هذه العلامة "**قلي**" على قوله تعالى في سورة البقرة ﴿وَيُزَكِّيهِمۡۚ﴾ آية ١٢٩، وحقه أن يوضع عليه هذه العلامة "**صلي**"؛ لأنَّ قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]، بقية قول إبراهيم وإسماعيل في دعائهما، وقد وضعت هذه العلامة "صلي" على قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ﴾، وقوله تعالى ﴿وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ﴾ في الآيتين ١٢٧ و١٢٨؛ لأنَّ التذييل فيهما من قول إبراهيم وإسماعيل في الدعاء، ومن الأمثلة أيضًا وضع هذه العلامة أيضا "قلي" على قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ﴾ آية ٢٩٧، وحقه أن توضع عليه علامة "ج" التي تشير إلى الجواز

(١) المشار إليه بقوله: (وضع بعض علامات الوقوف في غير أماكنها اللائقة بها).

المستوى الطرفين؛ ذلك لأنَّ المحاورة لم تنته بعد، وعلامة "قلي" لا توضع إلا حيث يتم الكلام، وينقطع عما بعده لفظًا ومعنىً، وأيضًا وضعت هذه العلامة "قلي" على ﴿مَن يَشَآءُ﴾ في هذه الآية وحقه أن يوضع عليه "صلي"؛ لأنَّ قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، بقية قول نبيهم، ووضعت هذه العلامة "قلي" كذلك على ﴿تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢٤٨]، في آية ٢٤٨ وحقه هذه العلامة "صلي" للعلة السابقة.

ومن أمثلة النوع الثاني(١) قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةً﴾ [الأعراف: ٧٣]، وضع على لفظ ﴿ءَايَةً﴾ "**صلي**"ولم توضع على قوله تعالى في سورة هود: ﴿وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةً﴾ آية ٦٤، وهي مثل ما قبلها، فكان الواجب التسوية.

ومن أمثلته كذلك قوله تعالى في سورة النحل: ﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ﴾ آية ٥٥، وضع على ﴿ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ﴾ "ج" وعلى ﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾ "**صلي**"، ولم توضع هاتان العلامتان على قوله تعالى في سورة الروم: ﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ﴾ آية ٣٤، وهي مثل آية النحل سواء، فكان الواجب التسوية أيضًا، وثَمَّ ملاحظات آخرى أضربنا عن ذكرها صفحًا اختصارًا.

---

(١) المشار إليه بقوله: (التفريق بين النظائر...).

هذا: وقد كتبت دار الكتب المصرية لمشيخة الأزهر ترغب في تكوين لجنة من علماء القراءات والعربية؛ لمراجعة المصحف الشريف بمناسبة الشروع في طَبْعِه طبعَةً جديدةً؛ لنفاد الطبعات السابقة.

فأمرت المشيخة محمد على النجار، الأستاذ بكلية اللغة العربية، والشيخ علي محمد الضباع، شيخ المقاريء المصرية، والشيخ عبد الحليم بسيوني، المراقب بالأزهر. فقمنا بمراجعته على أمهات كتب القراءات والرسم والضبط والتفسير، وعلوم القرآن، وعملنا جهد الطاقة على تلافي هذه المآخذ، وإصلاح هذه الهنات، ونسأله تعالى أن يجعله عملًا مبرورًا خالصًا لوجهه الكريم؛ إنَّه نعم المولى، ونعم النصير.

وكان الفراغ من كتابة هذه الكلمات يوم الجمعة المبارك غرة ربيع الأول سنة إحداى وسبعين وثلاثمائة وألف ١٣٧١هـ الموافق ثلاثين من شهر نوفمبر سنة إحداى وخمسين وتسعمائة وألف ١٩٥١م، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

راجع هذه النسخة وضبطها

أبو اليزيد علي سلامة

مدير عام الإدارة العامة لشئون القرآن الكريم بالأزهر

١٤٤٦هـ ٢٠٢٤م